قصة مكان قبر آدم عليه السلام

التوحيد



خطورة الجرائم الخُلُقية

الخَضِرُ بين الوهم والحقيقة



الإعلام بين الحقيقة والأوهام

ثقافية شهرية ■ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية | العدد ٥١١ ـ السنة الثالثة والأربعون ـ رجب ١٤٣٥ هـ
الثمن جنيهان

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

الإعلام بين الحقيقة والأوهام

الإعلام منذ قديم الزمان وسيلة لنشر الأخبار، صادقة كانت أو كاذبة، وله أثرٌ بالغ في التأثير على تَوَجُّهات الشعوب، وتغيير قناعاتها.

وإذا استخدم الإعلام في الخير أتى بالخير، وعاد على الإعلاميين وغيرهم بالخير في الدنيا والآخرة.

وإذا استخدم في الشر أفسد -والله لا يحب الفساد- وعاد على أصحابه بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقد حذر الله المسلمين من الإعلام الكاذب ومنع من سماعه، فقال سبحانه: « لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ » [التوبة:٤٧].

فما أكثر ما يخوض فيه الإعلاميون، وما أكثر ما يسمعون ويذيعون دون تحرٍ للصدق من الكذب، ولقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة الأرض المقدسة رجلًا جالسًا، ورجلًا قائمًا بيده كلُوب (حديدة مثنية لها سن) من حديد، يُدخل ذلك الكَلُوب في شِدْقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله، فلما سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ما هذا؟ قيل له: الرجل الذي رأيته يُشق شدقه، فكذاب يكذب الكذبة، ويحدث بالكذبة، فتُحْمَل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصنع به إلى يوم القيامة. يعني: هذا عذابه في قبره.

ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة.

أيها الناس عامة، والإعلاميون خاصة، هل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم.

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشا ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل٣٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج٢٥ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكترونى التالي : q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت:٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف :٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السنة الثالثة والأربعون / العدد: ٥١١ - رجب ١٤٣٥

في هذا العدد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جماعة أنصار السنة المحمدية
صاحبة الامتياز

رئيس مجلس الإدارة
د. عبدالله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبدالعظيم بدوي

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

اللجنة العلمية
جمال عبدالرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



افتتاحية العدد

الخضر بين الوهم والحقيقة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com



الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، والصلاة والسلام على المبعوث لكافة الورى بالنور والهدى، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم واقتفى، وبعدُ:

فقد أحاط بعض الناس قصة الخضر الواردة في القرآن والسنة بكثير من الأوهام والخرافات، وترتب على ذلك بعض الاعتقادات الباطلة، فأردت أن أبيّن حقيقة أمره من خلال النصوص القرآنية والنبوية، فأقول وبالله التوفيق:

ورد الحديث عن الخضر في قول الله تعالى: « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا » [الكهف: ٦٠- ٦٩]، وتستمر آيات القرآن الكريم لتبين ما دار بينهما.

كما روت كتب السنة قصة الخضر مع موسى عليه السلام، وأذكر هنا شيئًا يسيرًا مما ورد في ذلك. أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس بموسى الخضر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قام موسى خطيبًا في بني إسرائيل، فقيل له: أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: بلى! عبدٌ من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتًا في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فاتبعه، قال: فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت، حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها، قال فوضع موسى رأسه فنام، قال سفيان: وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر، فلما استيقظ موسى قال لفتاه: آتنا غداءنا. الآية.

قال: ولم يجد النصب حتى إذا ما جاوزوا ما أمر به. قال له فتاه يوشع بن نون: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت... الآية، قال: فرجعا يقصان في آثارهما، فوجدا في البحر كالطاق ممر الحوت، فكان لفتاه عجبًا، وللحوت سربًا، قال: فلما انتهيا إلى الصخرة إذ هما برجل مسجى بثوب، فسلم عليه السلام، قال: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدًا؟ قال له الخضر: يا موسى، إنك على علم من علم الله علمكه الله إياه لا أعلمه، وأنا على علم من علم علمنيه الله لا تعلمه. قال: بل أتبعك. قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرًا. [البخاري: ٤٧٢٧].

إيضاح بعض الأمور المتعلقة بالخضر عليه السلام:

وبعد سياق بعض ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية أوضح الأمور التالية المتعلقة بالخضر:

أولًا: اسمه:

ذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف أن اسم الخضر «بليان بن ملكان»، وقد نقل ابن كثير في تفسيره هذا عنه، كما ذكر بعض المؤرخين أسماء أخرى كثيرة له، ولم يرد في ذلك دليل صالح، وعليه أقول: إن العبرة في ذلك ليست بالأسماء، ولو كان في ذكرها فائدة لذكره القرآن، وقد وصفه الله تعالى بأنه عبد من عباده سبحانه وتعالى، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما سمي الخضر، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». [البخاري: ٣٤٠٢].

والمراد بالفروة هنا: الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات. [تفسير ابن كثير ٣/١٤٠].

ثانيًا: هل الخضر نبي أم ولي؟

اختلف العلماء في ذلك إلى قولين: الأول: أنه نبي، واستدلوا على نبوته بأدلة منها: قول موسى عليه السلام له: «هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا» [الكهف:٦٦]، وهذا الخطاب من موسى للخضر يدل على أنه نبي، لأنه لو لم يكن نبيًا ما خاطبه موسى بذلك، إلى جانب أن موسى عليه السلام سأل صحبته حتى ينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به، ولو لم يكن نبيًا ما حرص موسى عليه السلام على ذلك، وهو كليم الله ويوحى إليه، بل إن موسى عليه السلام سار إليه وتواضع له في رحلة طويلة.

ومن الأدلة على نبوته: أن الخضر أقدم على قتل الغلام، ولا يمكن أن يقع ذلك منه إلا بوحي من الله تبارك وتعالى، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته؛ لأنه لا يجوز لكبار الأولياء الإقدام على قتل النفس بغير حق، وقد ذكر الخضر لموسى عليه السلام الدافع الذي دفعه لهذا الفعل، وهو أن الغلام إذا صار كبيرًا سيحمل أبويه على الكفر، ولا يمكن لأحد أن يعلم ذلك إلا عن طريق الوحي الإلهي، فدل ذلك على نبوته، وأنه مُؤَيَّد من الله بعصمته.

كما أن الخضر فسَّر تأويل ما فعله لموسى عليه السلام بقوله: «وما فعلته عن أمري» يعني ما فعلته من تلقاء نفسي، بل أمرت به وأُوحي إليَّ فيه.

قال ابن حجر رحمه الله: باب ما ورد في ذكر كونه نبيًا، قال الله تعالى في خبره عن موسى: «وما فعلته عن أمري»، وهذا ظاهر أنه فعله بأمر من الله، والأصل عدم الواسطة، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره وهو بعيد، ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام؛ لأن ذلك لا يكون من غير النبي وحيًا حتى يعمل به ما عمل؛ من قتل النفس، وتعريض الأنفس للغرق.

فإن قلنا: إنه نبي؛ فلا إنكار في ذلك، وأيضًا كيف يكون غير النبي أعلم من النبي، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أن الله تعالى قال لموسى: «بلى عبدنا خضر»، وأيضًا فكيف يكون النبي تابعًا لغير نبي.

استحباب الحرص على الازديــاد من العلم والرحلة فيه، ولقاء المشايخ وتجشم المشاق في ذلك، والاستعانة في ذلك بالاتبــاع.

وقال الثعلبي: هو نبي في جميع الأقوال، وإنما قلت ذلك- أي ابن حجر- لأن غالب أخباره مع موسى هي الدالة على تصحيح قول من قال: إنه كان نبيًا، ثم اختلف من قال: إنه كان نبيًا، هل كان مرسلاً، فجاء عن ابن عباس ووهب بن منبه أنه كان نبيًا غير مرسل، وجاء عن إسماعيل بن أبي زياد ومحمد بن إسحاق وبعض أهل الكتاب أنه أرسل إلى قومه فاستجابوا له، ونصر هذا القول أبو الحسن الرماني، ثم ابن الجوزي. [الزاهر النضر في نبأ الخضر ص١٩٧، ١٩٨ ضمن مجموعة الرسائل المنبرية].

وقد ذكر الألوسي رحمه الله ثلاثة أقوال في تفسير قوله تعالى: «آتنا غداءنا»، وعقب عليها بقوله: «والجمهور على أنها الوحي والنبوة، وقد أطلعت على ذلك في مواضع من القرآن، وأخرج ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وهو ما عليه الجمهور، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة بمجموعها يكاد يحصل اليقين». [روح المعاني ٩٢/٥].

وقال القرطبي: «هو نبي عند الجمهور، والآية تشهد بذلك؛ لأن النبي لا يتعلم ممن هو دونه، ولأنه الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء». [فتح الباري: ٤٣٤/٦].

القول الثاني: أن الخضر ولي وعالم مُلهَم؛ لأن الله ذكره بالعلم والعبودية، ولم يذكر معها أنه نبي أو رسول، وقد ذهب إلى هذا فريق من المتصوفة، قال أبو القاسم القشيري في رسالته القشيرية في باب إثبات كرامات الأولياء: «لم يكن الخضر نبيًا، وإنما كان وليًا». [الرسالة القشيرية ص١٦١].

وهذا القول مرجوح ترده أدلة وأقوال المحققين من أهل العلم، وقد أشرت إلى بعضهم.

ثالثًا: هل الخضر حي أم مات؟

وقع خلاف أيضًا في هذه المسألة غير أن الراجح أنه مات، والأدلة كثيرة على ذلك قال أبو حيان: «الجمهور على أن الخضر مات، ونقل عن أبي الخضر المرسي أنه قال: أما خضر موسى بن عمران فليس بحي، لأنه لو كان حيًا للزمه المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به واتباعه». [البحر المحيط ١٤٧/٦].

وقد ذكر ابن حجر في الفتح الخلاف في ذلك، ثم قال: «والذي جزم به أنه غير موجود الآن البخاري وإبراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادى، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو طاهر العبادي وأبو بكر بن العربي وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم- صرح في آخر حياته بأنه لن يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها أحد» فعن عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ قَالَ: صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ في آخر حَيَاته، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؛ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ» [صحيح البخاري ١١٦].

قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه، وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذ على وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خُصَّ منه إبليس بالاتفاق.

ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد»، وحديث ابن عباس: «ما بعث الله نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري.

ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا قاتل معه، وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبَد في الأرض». فلو كان الخضر موجودًا لم يصح هذا النفي، وقال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما».

فلو كان الخضر موجودًا لما حسن هذا التمني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب، وكان أدعى لإيمان الكفرة ولا سيما أهل الكتاب. [فتح الباري ٤٣٤/٦].

وقال ابن الجوزي: «واختلف العلماء هل هو باق إلى يومنا هذا؟ على قولين حكاهما الماوردي وكأن الحسن يذهب إلى أنه قد مات، وكذلك كان ابن عباس من أصحابنا يقول، ويُقبِّح قول من يرى بقاءه، ويقول: لا يثبت حديث في بقائه، وروى أبو بكر النقاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد». [زاد المسير ١٦٨/٨].

وذكر ابن كثير أن النووي وابن الصلاح مالا إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثارًا عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف- يعني أنه قد مات- واحتجوا بقوله تعالى: « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ » [الأنبياء:٣٤]، وبأنه لم ينقل أنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حيًا لكان من

أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثًا إلى جميع الثقلين: الجن والإنس، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي». وأخبر قبل موته بقليل: أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف. إلى غير ذلك من الدلائل. [تفسير ابن كثير ٣/١٤٠].

وقد ذكر صديق حسن خان رحمه الله بعد ذكره لبعض الأقوال في ذلك: «والحق ما ذكرناه عن البخاري وأضرابه في ذلك، ولا حجة في قول أحد كائنًا من كان إلا الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يرد في ذلك نص مقطوع به ولا حديث مرفوع إليه صلى الله عليه وسلم، حتى يعتمد عليه ويصار إليه، وظاهر الكتاب والسنة نفي الخلد وطول التعمير لأحد من البشر وهما قاضيان على غيرهما، ولا يقضي غيرهما عليهما». [فتح البيان ٥/٤٩٢].

إلى جانب ذلك توجد أدلة عقلية تدفع القول بوجوده وحياته؛ منها: أنه لو كان موجودًا منذ ولد وحتى آخر الدهر، لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب، وكان له ذكر في القرآن بذلك ولدلت السنة أيضًا عليه، وكل ما ورد في ذلك لا تقوم به حجة، والحكايات والأساطير التي يتناقلها بعض المتصوفة في ذلك ما هي إلا أوهام وخرافات، وبعضها قائم على الرؤى والأحلام، وبمن لا يُعتد بكلامهم، وقد ذكر ابن عربي أنه اجتمع بالخضر وأنه- أي الخضر- ألبسه خرقة الصوفية، وأن ذلك تم تجاه الحجر الأسود في مكة، وأنه أخذ عليه العهد بالتسليم لمقامات الشيوخ، وأنه كان مترددًا في لبس الخرقة من الخضر حتى أعلمه الخضر أنه لبسها على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المشرفة منبع الفيض الأتم. [انظر كتابه: التذكاري ص٣٠٤].

وكل هذا من الضلال المبين، وقد ذكر كثير ممن يزعمون حياته الآن أساطير وخرافات حوله دفعت بعض الناس إلى اللجوء إليها من دون الله، ومع قولهم بأنه حي لم يمت بنوا له مقامًا ومشهدًا يُزَار فيه ويدعى من دون الله تبارك وتعالى!!

وقد التقى الأستاذ أحمد الحصين ببعض الزائرين ودارت بينه وبينهم محاورات، منها أن امرأة تريد أن تنجب، فذكر لها بعض الشيوخ أن تذهب لزيارة الخضر، وأن تتوسل إليه؛ كي ترزق بالبنين والبنات، وقد حملت معها حلوى نذرتها للخضر، كما ذكر عن آخر نذر خروفًا وذهب إلى الأثر المزعوم ليذبحه هناك تقربًا إلى الخضر وحتى يشفي ابنه المصاب بالشلل، ومن أراد الوقوف على مزيد من ذلك فليراجع كتاب «الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة»، (ص٣٧- ٤٢).

وهذه كلها توسلات شركية وبدعية، ولا يجوز الذبح أو النذر إلا لله تبارك وتعالى، وقد وضع الوضاعون أحاديث مكذوبة ونسبوها إلى الخضر ليفسدوا بذلك عقائد المسلمين، وقد نبَّه علماء السنة إليها، كما فعل ابن الجوزي رحمه الله في كتاب الموضوعات، حيث ذكر بعضًا مما ورد في ذلك وبيَّن وضعه. [انظر الموضوعات ١/١٩٥- ١٩٩].

فوائد من قصة الخضر:

وفي نهاية هذا المقال أود أن أذكر بعضًا من الفوائد في قصة الخضر؛ لينتفع بها الصالحون عوضًا عن الخرافات والأساطير، ومن الفوائد:

استحباب الحرص على الازدياد من العلم والرحلة فيه، ولقاء المشايخ وتجشم المشاق في ذلك، والاستعانة في ذلك بالاتباع، وإطلاق الفتى على التابع، واستخدام الحر، وطواعية الخادم لمخدومه، وعذر الناس، وقبول الهبة من غير المسلم، وجواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما، والإغفاء عن بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد.

ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه، وكل هذا صحيح إذا لم يعارض منصوص الشرع، وجواز الإخبار بالتعب ويلحق به الألم من مرض ونحوه، ومحل ذلك إذا كان على غير سخط من المقدور.

وفيه أن المتوجه إلى ربه يُعان فلا يسرع إليه النصب والجوع، وفيه جواز طلب القوت وطلب الضيافة، وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية.

قال ابن عطية: يشبه أن يكون هذا أصل مالك في ضرب الآجال في الأحكام إلى ثلاثة أيام، وفيه حسن الأدب مع الله تعالى، وألا يضاف إليه ما يستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه لقول الخضر عن السفينة: «فأردت أن أعيبها»، وعن الجدار: «فأراد ربك»، ومثل هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «والخير بين يديك، والشر ليس إليك». [فتح الباري: ج١/٤٢٢].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا للخير وأهله، وأن يبعد عنا الشر وأهله، وأن يجنبنا البدع والضلالات، والآثام والمنكرات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

القلب المري

سبق أن تكلمنا عن القلب السليم المخبت الخاشع الوجل المطمئن إلى ذكر الله عز وجل ، والقلب الميت القاسي ، وبقي الحديث عن القلب الثالث وهو القلب المريض.

وقد جمع الله القلوب الثلاثة في موضع واحد في سورة الحج فقال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [الحج: ٥٢ - ٥٤]

قال ابن القيم: فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلباً ناجياً فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي ، أمام القلب الناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه وهو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد.

إعداد/ د. جمال المراكبي

وذلك: أن القلب وغيره من الأعضاء يراد منه أن يكون صحيحاً سليماً لا آفة به، يتأتى منه ما هيىء له وخلق لأجله، وخروجه عن الاستقامة إما ليبسه وقساوته، وعدم التأتي لما يراد منه، كاليد الشلاء، واللسان الأخرس، والأنف الأخشم، وذكر العنين، والعين التي لا تبصر شيئاً، وإما لمرض وآفة فيه تمنعه من كمال هذه الأفعال ووقوعها على السداد، فلذلك انقسمت القلوب إلى هذه الأقسام الثلاثة.

فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تام الانقياد والقبول له.

والقلب الميت القاسي: لا يقبل الحق ولا ينقاد له.

والقلب المريض: إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسي. وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعريف القلب المريض فقال: هو قلب له حياة وبه علة. فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى. وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى

ض القلوب

ـض



اللّه ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلي العاجلة ، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا، وأدناهما إليه جواراً.

فما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ، وفي القلوب من الشبه والشكوك: فتنة لهذين القلبين، وقوة للقلب الحي السليم، لأنه يردّ ذلك ويكرهه ويبغضه، ويعلم أن الحق في خلافه، فيخبت للحق ويطمئن وينقاد، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان، فيزداد إيماناً بالحق ومحبة له وكفراً بالباطل وكراهة له. فلا يزال القلب المفتون في مرْية من إلقاء الشيطان، وأما القلب الصحيح السليم فلا يضره ما يلقيه الشيطان أبدًا.

الأدلة من القرآن والسنة على مرض القلوب:

هذا وقد ذكر الله أمراض القلوب في مواضع من كتابه كقوله تعالى عن المنافقين:« وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ » [البقرة: ٨-١٠].

وقوله تعالى:«لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا » [الأحزاب: ٦٠، ٦١].

وقال تعالى:«وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا» [المدثر: ٣١]
«وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أي: شك ونفاق. [تفسير البغوي].

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ» [المائدة: ٥١، ٥٢].

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ: أي شك ونفاق - تفسير الماوردي النكت والعيون.

وقال تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا» [الأحزاب: ٣٢].

فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِه مَرَضٌ: فيه قولان:
أحدهما: أنه شهوة الزنى والفجور، قاله عكرمة والسدي.
الثاني: أنه النفاق، قاله قتادة. وكان أكثر من تصيبه الحدود في زمان النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون. النكت والعيون للماوردي

وقال تعالى: «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» [الأحزاب: ١٢].
فيه وجهان: أحدهما: أن المرض النفاق، قاله قتادة
الثاني: أنه الشرك، قاله الحسن.

وفي السنة النبوية، فقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». متفق عليه.

وفساد القلب بمرضه وقسوته ، وصلاح القلب بوجله وخشوعه وإنابته وخشيته وطمأنينته وسلامته من الأمراض والآفات.

وعن عَبدُ اللَّه بْن عَمْرو قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ عِلْمٍ لَا ينفع». رواه الترمذي وصححه الألباني.

فالقلب الذي لا يخشع قلب قاس أو قلب مريض.

قال الله تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ» [الحديد: ١٦].

وقال الله تعالى: «أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» [الزمر: ٢٢، ٢٣].

أنواع القلب المريض

وقال ابن القيم: مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، كالجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، وهذا النوع من أعظم النوعين ألماً ولكن لفساد القلب لا يُحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال كالهمِّ والحزن والغيظ.

و قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه: وكذلك «مرض القلب» هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره، وإرادته. فتصوره: بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته: بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار، فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب، كما فسر مجاهد وقتادة قوله: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي شك.



وتارة يُفسر بشهوة الزنا كما فُسِّر به قوله تعالى: فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِه مَرَضٌ.

والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل، فله موت

ومرض، وحياة وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوّت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه. مجموع فتاوى ابن تيمية.



وقد بين شيخ الإسلام أن سبب مرض القلب ضعف الإيمان فقال: والمرض في القلب كالمرض في الجسد، فكما أن هذا هو إحالة عن الصحة والاعتدال من غير موت، فكذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال، من غير أن يموت القلب، سواء أفسد إحساس القلب وإدراكه، أو أفسد عمله وحركته وذلك من ضعف الإيمان، إما بضعف علم القلب واعتقاده، وإما بضعف عمله وحركته. فيدخل فيه من ضعف تصديقه، ومن غلب عليه الجبن والفزع، فإن أدواء القلب من الشهوة المحرمة والحسد والجبن والبخل وغير ذلك، كلها أمراض، وكذلك الجهل والشكوك والشبهات التي فيه

وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات والشهوات أزيل ذلك بضده، ولا يحصل المرض إلا لنقص أسباب الصحة، كذلك القلب لا يمرض بالشهوات والشبهات إلاّ لنقص إيمانه وعبادته لربه.

وذكر رحمه الله أنواعاً من أمراض القلوب كالغيظ، والشك، والجهل، ومرض الشهوة، ومرض الشبهة ، فقال: ومرض القلب: ألمٌ يَحصل في القلب كالغيظ من عدو استولى عليك، فإن ذلك يؤلم القلب. قال الله تعالى:« ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾»، فشفاؤهمُ بزوال ما حصل في قلوبهم من الألم، ويقال: فلان شفى غيظه، وفي القود استشفاء أولياء المقتول، ونحو ذلك. فهذا شفاء من الغم والغيظ والحزن، وكل هذه آلام تحصل في النفس.

وكذلك الشك والجهل يؤلم القلب قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هلا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإن شفاء العي السؤال». والشاك في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين ويقال للعالم الذي أجاب بما يبين الحق قد شفاني بالجواب.

والحمد لله رب العالمين.

اعتذار

يعتذر رئيس التحرير عن الكتابة هذا الشهر نظرًا لظروف يمر بها، نسألكم الدعاء، وعلى وعد بالكتابة الشهر القادم بإذن الله تعالى.

رئيس التحرير

عزواجب

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء للأخ الزميل عبد العزيز مصطفى، المراجع بالمجلة، لوفاة والدته، داعين الله عز وجل أن يرحمها رحمة واسعة، وأن يحشرها مع النبيين والصديقين والشهداء، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، فإنا لله وإنا إليه راجعين.

سورة فصلت

الحلقة السادسة

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن
مَّحِيصٍ (٤٨) لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن
بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا
مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ
هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ
بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ

[فصلت: ٤٧- ٥٤].

إعداد
د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

إن الله عنده علم الساعة:

لما بيّن سبحانه أنه لا يمنع العذاب عن مستحقيه من الكافرين إلى أجل مسمى، وهو القيامة، وكانوا من شدة تكذيبهم به يقولون متى هو؟ قال سبحانه: «إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ»: وتقديم المجرور على متعلّقه لإفادة الحصر، أي إلى الله يفوّض علم السّاعة لا إليّ النبي ، فهو قصر قلب.

وردّ عليهم بطريق الأسلوب الحكيم، أي الأجدر أن تعلموا أنْ لا يعلم أحد متى السّاعة، وأن تؤمنوا بها، وتستعدّوا لها. ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم وسأله رجل من المسلمين: متى الساعة؟ فقال له: ((وَيْحَكَ مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا)) [صحيح البخاري ٦١٧١]، أي: استعدادك لها أولى بالاعتناء من أن تسأل عن وقتها.

والرّد: الإرجاع، وهو مستعمل لتفويض علم ذلك إلى الله، والتبرؤ من أن يكون للمسئول علم به، فكأنّه جيء بالسؤال إلى النّبي صلى الله عليه وسلم فردّه إلى الله. [التحرير والتنوير(٥/٢٥)].

ثم ذكر الله تعالى مثلين لإحاطته علمًا بكل خفي، فقال تعالى: «وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» وهذه الآية كقوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » [لقمان: ٣٤]، وقوله تعالى: «وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» [الأنعام:

٥٩]، وقوله تعالى: «ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ» [الرعد: ٨- ٩].

ثم بيّن سبحانه تبرؤ المشركين من آلهتهم، وتبرؤ آلهتهم منهم، فقال تعالى: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ» يقول سبحانه أنه ينادي المشركين يوم القيامة توبيخًا لهم على رؤوس الأشهاد: «فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» [القصص: ٦٢]، فما كان جوابهم إلا أن «قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ» أي ما منا من أحد اليوم يشهد بأن لك شريكًا، «وَضَلَّ عَنْهُم» أي: غاب عنهم، «مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ»، كما قال تعالى: «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» [الأنعام: ٩٤]، وعندئذ أيقنوا بالبوار، «وَظَنُّوا» أي أيقنوا «مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ» أي: ما لهم من ملجأ يلجئون إليه، وأنهم هالكون لا محالة، كما قال تعالى: «وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا» [الكهف: ٥٢- ٥٣].

حال الناس في السراء والضراء:

يقول تعالى: «لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ» أي لا يمل ولا يفتر من سؤال الرب من فضله ما يحب من الصحة والعافية، والمال والولد، «وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ»، يعني إذا أصابه ما يكره في نفسه أو أهله، أو ماله أو ولده، انقطع رجاؤه، وقنط من رحمة ربه، وجلس حزينًا مهمومًا، لا رجاء عنده في زوال الكرب، وانكشاف الغم. وهذه حالة الكافرين بربهم، كما قال تعالى: «لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ» [يوسف: ٨٧]، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنهم يشكرون في السراء، ويصبرون في الضراء، وهم على يقين من أن الله تعالى سيغير الحال، ويجعل لهم من ضيقهم فرجًا ومخرجًا، ولذلك قال تعالى: «وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» [هود: ٩- ١١].

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) [صحيح مسلم: ٢٩٩٩].

«وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا» فضلاً، بلا استحقاق له علينا، «مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ» كأن يشفيه الله من مرض، أو يغنيه من الفقر، أو يعطيه بعد حرمان، «لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي»، وأنا أستحقه، ولم يشكر الله تعالى، بل كفر به، وكذب بلقائه، وقال: «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ» وهي الجنة، التي هي خير من نعيم الدنيا، وهذا كمال قال تعالى: «وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا» [الكهف: ٣٥- ٣٦]، وقال تعالى: «أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا» [مريم: ٧٧- ٨٠]، ووصف الله تعالى هذا العذاب الذي توعد به هذا الإنسان، فقال: «فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ».

وَلَمَّا حَكَى اللهُ تَعَالَى أَقْوَالَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي الْآفَاتِ حَكَى أَفْعَالَهُ أَيْضًا فَقَالَ: «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ» عَنِ التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ الله، وَالشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ الله، «بِجَانِبِهِ» أَيْ ذَهَبَ بِنَفْسِهِ وَتَكَبَّرَ وَتَعَظَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ» [العلق: ٦- ٧]، ثُمَّ إِنْ مَسَّهُ الضُّرُّ وَالْفَقْرُ أَقْبَلَ عَلَى دَوَامِ الدُّعَاءِ، وَأَخَذَ فِي الِابْتِهَالِ وَالتَّضَرُّعِ، «وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» أي كثير، فالعرب تعبّر بالعرض عن كثرة الكلام، يقولون: تكلم فلان فأعرض، إذا أطال الكلام بلا فائدة، ويقولون: تكلم فأوجز، إذا نطق بما فيه فائدة، والمراد أن الإنسان إذا مسه الخير أعرض عن ربه، وجحد فضله، وإذا مسه الشر ألحّ على ربه في الدعاء، كما قال تعالى: «وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» [يونس: ١٢]، وقال تعالى: «وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ

«تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ» [الزمر: ٨].

دعوة المشركين إلى التأمل:

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن كَانَ مِنْ عند اللّه ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ»:

قال الرازي -عَفَا اللهُ عَنْهُ-: اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ الْوَعِيدَ الْعَظِيمَ على الشرك، وَبَيَّنَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَرْجِعُونَ عَنِ الْقَوْلِ بِالشِّرْكِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُظْهِرُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الذِّلَّةَ وَالْخُضُوعَ بِسَبَبِ اسْتِيلَاءِ الْخَوْفِ عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ جُبِلَ عَلَى التَّبَدُّلِ، فَإِنْ وَجَدَ لِنَفْسِهِ قُوَّةً بَالَغَ فِي التَّكَبُّرِ وَالتَّعَظُّمِ، وَإِنْ أَحَسَّ بِالْفُتُورِ وَالضَّعْفِ بَالَغَ فِي إِظْهَارِ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، ذَكَرَ عَقِيبَهُ كَلَامًا آخَرَ يُوجِبُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ أَنْ لَا يُبَالِغُوا فِي إِظْهَارِ النُّفْرَةِ مِنْ قَبُولِ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ لَا يُفْرِطُوا فِي إِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ مَعَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عند اللّه ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ»:

وَتَقْرِيرُ هَذَا الْكَلَامِ: أَنَّكُمْ كُلَّمَا سَمِعْتُمْ هَذَا الْقُرْآنَ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُ وَمَا تَأَمَّلْتُمْ فِيهِ وَبَالَغْتُمْ فِي النُّفْرَةِ عَنْهُ، حَتَّى قُلْتُمْ: «قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ» [فصلت]، ثُمَّ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَوْنِ الْقُرْآنِ بَاطِلًا عِلْمًا بَدِيهِيًّا، وَلَيْسَ الْعِلْمُ بِفَسَادِ الْقَوْلِ بِالتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ عِلْمًا بَدِيهِيًّا، فَقَبْلَ الدَّلِيلِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا وَأَنْ يَكُونَ فَاسِدًا، بِتَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا كَانَ إِصْرَارُكُمْ عَلَى دَفْعِهِ مِنْ أَعْظَمِ مُوجِبَاتِ الْعِقَابِ، فَهَذَا الطَّرِيقُ يُوجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا هَذِهِ النُّفْرَةَ، وَأَنْ تَرْجِعُوا إِلَى النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، فَإِنْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّتِهِ قَبِلْتُمُوهُ، وَإِنْ دَلَّ عَلَى فَسَادِهِ تَرَكْتُمُوهُ، فَأَمَّا قَبْلَ الدَّلِيلِ فَالْإِصْرَارُ عَلَى الدَّفْعِ وَالْإِعْرَاضِ بَعِيدٌ عَنِ الْعَقْلِ، وَقَوْلُهُ: «مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ مِنْكُمْ بَيَانًا لِحَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ. [التفسير الكبير (٢٧/ ٥٧٣)].

دلائل التوحيد:

وَلَمَّا ذَكَرَ هَذِهِ الْوُجُوهَ الْكَثِيرَةَ فِي تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَجَابَ عَنْ شُبُهَاتِ الْمُشْرِكِينَ وَتَمْوِيهَاتِ الضَّالِّينَ قَالَ: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»:

قال الرازي -عَفَا اللهُ عَنْهُ-: قَالَ الْوَاحِدِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: وَاحِدُ الْآفَاقِ أُفُقٌ، وَهُوَ النَّاحِيَةُ مِن نواحي الأرض، وكذلك آفاق السماء نواحيها وَأَطْرَافُهَا، وَالْمُرَادُ بِآيَاتِ الْآفَاقِ الْآيَاتُ الْفَلَكِيَّةُ وَالْكَوْكَبِيَّةُ، وَآيَاتُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَآيَاتُ الْأَضْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ وَالظُّلُمَاتِ، وَقَدْ أَكْثَرَ اللهُ مِنْهَا فِي الْقُرْآنِ، وَقَوْلُهُ: «وَفِي أَنفُسِهِمْ» الْمُرَادُ مِنْهَا الدَّلَائِلُ الْمَأْخُوذَةُ مِنْ كَيْفِيَّةِ تَكَوُّنِ الْأَجِنَّةِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَحُدُوثِ الْأَعْضَاءِ الْعَجِيبَةِ وَالتَّرْكِيبَاتِ الْغَرِيبَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» [الذاريات: ٢١]، يَعْنِي نُرِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى إِلَى أَنْ تَزُولَ الشُّبُهَاتُ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَيَحْصُلَ فِيهَا الْجَزْمُ وَالْقَطْعُ بِوُجُودِ الْإِلَهِ الْقَادِرِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ، الْمُنَزَّهِ عَنِ الْمِثْلِ وَالضِّدِّ.

فَإِنْ قِيلَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: «سَنُرِيهِمْ» يَقْتَضِي أَنَّهُ تَعَالَى مَا أَطْلَعَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْآيَاتِ إِلَى الْآنَ، وَسَيُطْلِعُهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَالْآيَاتُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ قَدْ كَانَ اللهُ أَطْلَعَهُمْ عَلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فكيف يستقيم تفسيركم للآية بما فسرتموها به؟!

قُلْنَا: إِنَّ الْقَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا أَنَّ الْعَجَائِبَ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مِمَّا لَا نِهَايَةَ لَهَا، فَهُوَ تَعَالَى يُطْلِعُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْعَجَائِبِ زَمَانًا فَزَمَانًا، وَمِثَالُهُ: كُلُّ أَحَدٍ رَأَى بِعَيْنِهِ بِنْيَةَ الْإِنْسَانِ وَشَاهَدَهَا، إِلَّا أَنَّ الْعَجَائِبَ الَّتِي أَبْدَعَهَا اللهُ فِي تَرْكِيبِ هَذَا الْبَدَنِ كَثِيرَةٌ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَهَا، وَالَّذِي وَقَفَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَكُلَّمَا ازْدَادَ وُقُوفًا عَلَى تِلْكَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ فَصَحَّ بِهَذَا الطَّرِيقِ قَوْلُهُ «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ» [التفسير الكبير(٢٧/ ١٤٠)].

ولقد صدقهم الله وعده فكشف لهم عن آياته في الآفاق في خلال القرون الأربعة عشر التي تلت هذا الوعد، وكشف لهم عن آياته في أنفسهم. وما يزال يكشف لهم في كل يوم عن جديد.

وينظر الإنسان فيرى البشر قد كشفوا كثيرًا جدًا منذ ذلك الحين. فقد تفتحت لهم الآفاق. وتفتحت لهم مغاليق النفوس بالقدر الذي شاءه الله.

لقد عرفوا أشياء كثيرة. لو أدركوا كيف عرفوها وشكروا لكان لهم فيها خير كثير.

عرفوا منذ ذلك الحين أن أرضهم التي كانوا

يظنونها مركز الكون. إن هي إلا ذرة صغيرة تابعة للشمس. وعرفوا أن الشمس كرة صغيرة منها في الكون مئات الملايين. وعرفوا طبيعة أرضهم وطبيعة شمسهم- وربما طبيعة كونهم، إن صح ما عرفوه! وعرفوا الكثير عن مادة هذا الكون الذي يعيشون فيه. إن صح أن هناك مادة. عرفوا أن أساس بناء هذا الكون هو الذرة. وعرفوا أن الذرة تتحول إلى إشعاع. وعرفوا إذن أن الكون كله من إشعاع في صور شتى: هي التي تجعل منه هذه الأشكال والأحجام! وعرفوا الكثير عن كوكبهم الأرضي الصغير. عرفوا أنه كرة أو كالكرة. وعرفوا أنه يدور حول نفسه وحول الشمس. وعرفوا قاراته ومحيطاته وأنهاره. وكشفوا عن شيء من باطنه. وعرفوا الكثير من المخبوء في جوف هذا الكوكب من الأقوات. والمنثور في جوه من هذه الأقوات أيضًا! وعرفوا وحدة النواميس التي تربط كوكبهم بالكون الكبير، وتصرف هذا الكون الكبير.

ومنهم من اهتدى فارتقى من معرفة النواميس إلى معرفة خالق النواميس. ومنهم من انحرف فوقف عن ظاهر العلم لا يتعداه. ولكن البشرية بعد الضلال والشرود من جراء العلم، قد أخذت عن طريق العلم تثوب، وتعرف أنه الحق عن هذا الطريق.

ولم تكن فتوح العلم والمعرفة في أغوار النفس بأقل منها في جسم الكون. فقد عرفوا عن الجسم البشري وتركيبه وخصائصه وأسراره الشيء الكثير. عرفوا عن تكوينه وتركيبه، ووظائفه وأمراضه، وغذائه وتمثيله، وعرفوا عن أسرار عمله وحركته، ما يكشف عن خوارق لا يصنعها إلا الله.

وعرفوا عن النفس البشرية شيئًا؛ إنه لا يبلغ ما عرفوه عن الجسم. لأن العناية كانت متجهة بشدة إلى مادة هذا الإنسان وآلية جسمه أكثر مما كانت متجهة إلى عقله وروحه. ولكن أشياء قد عُرفت تشير إلى فتوح ستجيء.

وما يزال الإنسان في الطريق! ووعد الله ما يزال قائما: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ».

والشطر الأخير من الوعد قد بانت طلائعه منذ مطلع هذا القرن بشكل ملحوظ. فموكب الإيمان يتجمع من فجاج شتى. وعن طريق العلم المادي وحده يفد كثيرون! وهناك أفواج وأفواج تتجمع من بعيد. ذلك على الرغم من موجة الإلحاد الطاغية التي كادت تغمر هذا الكوكب في الماضي. ولكن هذه الموجة تنحسر الآن. تنحسر- على الرغم من جميع الظواهر المخالفة- وقد لا يتم تمام هذا القرن العشرين الذي نحن فيه، حتى يتم انحسارها أو يكاد إن شاء الله. وحتى يحق وعد الله الذي لا بد أن يكون: «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» وهو الذي أعطى وعده عن علم وعن شهود. [الظلال(٧/ ٢٥٢ - ٢٥٣)].

وهو الذي شهد لرسوله بالرسالة، وشهد لكتابه بأنه الحق، قال تعالى: «وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا» [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: «لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا» [النساء: ١٦٦]، ولذلك قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» [الرعد: ٤٣].

ولمَّا لَمْ يبقَ بعد هذا لمتعنت مقالٌ، ولا شبهة أصلاً لضالٍ، كان موضع المناداة علَى من استمر على عناده بقوله مؤكدًا لادعائهم إنهم على جلية من أمرهم، «إِلا إِنَّهُمْ» أي الكفرة، «فِي مِرْيَةٍ» أي جحد وجدال، وشك وضلال «مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ» يعني بعد البعث، «أَلا إِنَّهُ» يعني ربهم الذي رباهم بنعمه، وأحسن إليهم بآلائه وفضله، «بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» قدرة وعلمًا، فلن يعجز عن إعادتهم بعد موتهم، كما قال تعالى: «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ» [ق: ٤]، فذكر علمه المحيط بكل شيء، ثم ذكر مظاهر قدرته فقال: «أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ» [ق: ٦- ٨]، فالعليم القدير لا يعجز عن بعث الموتى من قبورهم، «وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» [الأنعام: ٣٣]، «فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» [المعارج: ٤٢- ٤٤].

وإلى هنا انتهى تفسير سورة فصلت، ونبدأ في العدد القادم إن شاء الله تفسير سورة الشورى،

والحمد لله رب العالمين.



اسئلة القراء عن الاحاديث

المحدث
أبو إسحاق الحويني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

١- قال سائل: قرأت في «سير النبلاء (٢/٥٢٥-٥٢٦) للذهبي قال: « عن جابر: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لكعب بن مالك: ما نسي ربك لك – (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)- بيتًا قلته. قال: ما هو؟ قال: أَنشِدهُ يا أبا بكر، فقال:

زعمت سَخينة أن ستغلب ربّها
وليُغلبَن مُغالِبُ الغَلاّب

فهل هذا الحديث صحيح ؟

والجواب: أنه حديث منكر. أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير « (١/١/١٢٠) قال: قال لي إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن طلحة، عن المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن جابر فذكره.

وابن أبي أويس الأرجح ضَعْفُه، ولعله من أضعف شيوخ البخاري في « صحيحه «. وكان البخاري ينتقي من حديثه ما وافقه الثقات عليه. قال أحمد: « لا بأس به «، أمَّا سائر الأئمة فقد تكلموا فيه. وأغلظ النسائي القول فيه.

قال اللالكائي: « بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدي إلى تركه، ولعله بان له ما لم يَبِنْ لغيره».

والذي بان للنسائي منه ذكره الدارقطني قال: « ذكر محمد بن موسى الهاشمي وهو أحد الأئمة وكان النسائي يخُصّه بما لم يخص به ولده فذكر عن أبي عبد الرحمن النسائي قال: حكي لي سلمة بن شبيب، ثم توقف أبو عبد الرحمن؟ قال: فما زلت بعد ذلك أداريه أن يحكي لي الحكاية حتى قال: قال لي سلمة بن شبيب: سمعت إسماعيل بن أويس يقول: ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم. قال البرقاني: قلت للدارقطني: من حكى لك هذا عن محمد بن موسى؟ قال: الوزير جعفر بن حنزابة، كتبتها

من كتابه وقرأتها عليه».
فعلق الحافظ ابن حجر علي هذه الحكاية قائلاً: « هذا هو الذي بان للنسائي منه حتى تجنب حديثه، وأطلق القول فيه بأنه ليس بثقة. ولعل هذا كان منه في شبيبته ثم انصلح، وأما الشيخان فلا يظن أنهما أخرجا عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات « انتهى.
وقد أكثر عنه البخاري، أما مسلم فلم يرو عنه إلا نحواً من عشرين حديثاً.
ومحمد بن طلحة قال أبو حاتم: « محله الصدق « يُكتب حديثه ولا يُحتج به، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٣٩٣/٧) وقال: « يخطئ». والمنكدر بن محمد وإن وثقه أحمد وقال ابن معين في رواية: «لا بأس به» فقد ضعَّفه سائر الأئمة، قال أبو حاتم: «كان رجلاً صالحاً لا يفهم الحديث، وكان كثير الخطأ لم يكن بالحافظ لحديث أبيه».
وقال ابن حبان: « كان من خيار عباد الله، فقطعته العبادة عن مراعاة الحفظ، فكان يأتي بالشيء توهماً، فبطل الاحتجاج بأخباره».
فالإسناد ضعيف جداً. والله أعلم.

٢- وسئلت عن حديث: « أكرموا الشهود؛ فإن الله يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم».

والجواب: أنه حديث منكر.
أخرجه العقيلي في « الضعفاء « (٢٢٢/١ و ٨/٤)، وأبو الشيخ في « طبقات المحدثين « (٢١٧/٤)، وابن عساكر في « تاريخه « (٢١٧/٥)، عن أبي يحيى بن أبي مسرة. والخطيب في « تاريخه « (٩٤/٥ و ١٣٨/٦) والقضاعي في « مسند الشهاب « (٧٣٢) عن إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى، قالا: ثنا عبد الصمد بن موسى الهاشمي، قال: حدثني عمي إبراهيم بن محمد، عن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده مرفوعاً.

قال العقيلي في ترجمة: « إبراهيم بن محمد»: «حديثه غير محفوظ، ولا أصل له».
وقال في ترجمة «عبد الصمد بن علي»: « حديثه غير محفوظ ولا يُعرف إلا به «.
وقال الذهبي في ترجمة « إبراهيم بن محمد «: « وقع لنا حديثه عالياً في « جزء البانياس « عن عبد الصمد بن علي: أكرموا الشهود. وهذا منكر، وإبراهيم ليس بعمدة».
وقال في ترجمة « عبد الصمد « وذكر هذا الحديث: « وهذا منكر، وما عبد الصمد بحجة، ولعل الحفاظ سكتوا عنه مداراةً للدولة.

٣- وسئلت عن حديث: « الخير أسرع إلى البيت الذي يُغْشَى من الشفرة إلى سنام البعير».

والجواب: هذا حديث باطلٌ.
أخرجه ابن ماجة (٣٣٥٦) وابن عدي في « الكامل « (٢٠٨٤/٦) قال: حدثنا محمد بن صالح بن ذريح قالا: ثنا جبارة بن المغلس، ثنا كثير بن سليم، عن أنس مرفوعاً.
وهذا إسناد ضعيف جداً، وجُبَّارة - بضم الجيم وبعدها باء موحدة مشددة - ساقط، ولم يتفرد به. فتابعه عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال: ثنا كثير بن سليم.
أخرجه الطبراني في « الأوسط « (٣١٧٤) وفي « مكارم الأخلاق « (١٦٢)، والبيهقي في « الشعب « (٩٦٢٤) عن بكر بن سهل الدمياطي، قال ثنا عبد الله بن صالح بهذا الإسناد.
وبكر بن سهل ضعفه النسائي، وعبد الله بن صالح في حفظه مقال. ولكن رواه محمد بن عاصم قال: حدثنا كثير بن سليم، عن أنس. أخرجه ابن أبي الدنيا في « قري الضيف « (٤٧) ومن طريقه الأصبهاني في « الترغيب « (٢٠١٤). وكذلك رواه قتيبة بن سعيد، ثنا كثير بن سليم بهذا. أخرجه ابن عدي (٢٠٨٤/٦)، وكذلك رواه عمرو بن

عون، ثنا كثير بن سليم به. أخرجه ابن عساكر في « معجم الشيوخ « (١٠٧٧/٢)، فانحصرت العلة في كثير بن سليم وهو ساقط البتة، تركه النسائي والأزدي ووهاه أبو زرعة. وقال أبو حاتم: « منكر الحديث، لا يروي عن أنس حديثاً له أصل من رواية غيره». ولذلك قال ابن عساكر: «هذا حديث غريب».

وله شاهد من حديث ابن عباس م مرفوعاً: « الخير أسرع إلى البيت الذي يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير».

أخرجه ابن ماجة (٣٣٥٧) قال: حدثنا جبارة بن المغلس، ثنا المحاربي، ثنا عبد الرحمن بن نهشل، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس مرفوعاً.

كذا وقع في « السنن « قال الحافظ في « التهذيب « (٢٨٩/٦): هكذا وقع عند ابن ماجة في جميع الروايات، وهو وهم، والصواب: عن المحاربي عبد الرحمن، عن نهشل، وهو ابن سعيد، عن الضحاك، وليس في الرواة من يقال له: عبد الرحمن بن نهشل «. انتهى.

وإسناده ضعيف جداً، وجبارة مضى الكلام عنه آنفاً. ونهشل بن سعيد أحد التلفي، وقد خولف جبارة في إسناده.

خالفه ابن الأصبهاني قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن عبد السلام بن نهشل، حدثني رجل يكنى أبا عبد الله، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً به.

أخرجه الطبراني في « الكبير « (ج١٢/ رقم ١٢٦٣٨) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا ابن الأصبهاني بهذا.

وعبد السلام بن نهشل لم أعرفه. وورد له ذكر في « تاريخ نيسابور «. والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس.

٤- وسئلت عن حديث: « إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار».

والجواب: أنه حديث موضوع.

أخرجه ابن ماجة (٣٣٥٨) والقضاعي في « مسند الشهاب « (١١٥٠) عن علي بن ميمون الرقيّ. وابن عدي في « الكامل « (١٤٢/٨) عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب. وابن أبي الدنيا في « قري الضيف « (٥٢)، وابن الأعرابي في « المعجم « (٢٤٣٧)، ومن طريقه القضاعي في « مسند الشهاب « (١١٤٩) عن إسماعيل بن أبان الوراق، قالوا: ثنا عثمان بن عبد الرحمن القرشي، عن علي بن عروة الدمشقي، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة مرفوعاً.

وهذا إسناد ساقط للغاية. وعلي بن عروة كذاب يضع الحديث كما قال ابن حبان وغيره.

وقد خولف عبد الملك بن أبي سليمان. خالفه ابن جريج فرواه عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس مرفوعاً مثله.

أخرجه ابن حبان في « المجروحين « (٣٤٤/١) قال: حدثنا محمد بن صالح بن ذريح. وابن عدي في « الكامل « (٣٧٣/٥) قال: حدثنا إسماعيل بن موسى الحاسب، قالا: ثنا جبارة بن المغلس، ثنا سلم بن سالم، عن ابن جريج بهذا الإسناد. وأخرجه البيهقي في « الشعب « (٩٦٤٩) عن سلم بن سالم. وجبارة مضى الكلام عنه آنفا.

قال البيهقي: « في إسناده ضعف، وروي من وجه آخر ضعيف عن أبي هريرة مرفوعاً.

وإسناده ضعيف جداً. وسلم بن سالم قال ابن حبان: « منكر الحديث، يقلب الأخبار قلباً، كان ابن المبارك يكذبه». وإلى لقاء قادم إن شاء الله.

رجب

بين اتباع المحبين وابتداع الغالين

اعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد :

قال الله -تعالى- : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) [القصص:٦٨] ، والاختيار هو الاصطفاء ، قال قتادة رحمه الله : « إن الله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رُسلا ومن الناس رُسلا، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجدَ، واصطفى من الشهور رمضانَ والأشهرَ الحرمَ، واصطفى من الأيام يومَ الجمعة، واصطفى من الليالي ليلةَ القدر» انتهى(الطبري ١٠/١٢٧)

و لا يثبت فضلٌ لشيء إلا بدليل شرعي صحيح ، ودليل اختياره من بين الشهور أربعة حُرما قوله تعالى :

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » التوبة٣٦ .

ومن السنة

عن أبي بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القَعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان))

والحديث رواه :

١- البخاري برقم (٣٠٢٥)، (٤١٤٤)، (٤٣٨٥) ،(٥٢٣٠) ،(٧٠٠٩) ط٣/دار ابن كثير)

٢- ومسلم (١٦٧٩) ، ط/دار احياء التراث ،تحقيق :محمد فؤاد عبدالباقي)

٣- (أبوداوود (١٩٤٧) ط/دار الفكر،تحقيق:محمد محيي الدين عبدالحميدوللأشهر الحرم - والتي منها شهرنا رجب - مكانة عظيمة نبينها لاحقا في موضعها ، لكننا مع هذه المكانة التي جعلها الله لهذا الشهر الفضيل لا نغالي فيه مغالاة المبتدعين الذين طاب لهم أن يزيدوا على ما جعله الشارع له من مزية باختراع عبادات واحتفالات ما أنزل الله بها من سلطان ، بل نتبع اتباع المحبين لربهم المستنين بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

ولبيان هذا أقف مع حضراتكم في هذه المقالة ثلاث وقفات رئيسية :

١- معنى الابتداع ٢- معنى الاتباع ٣- بيان ما ورد في رجب من السنة وما أحدثه الغالون من البدعة

أولا: معنى الابتداع

الابتداع لغة: مصدر ابتدع ، وابتدع أي أتى ببدعة ، لذا فنعتمد في تعريفه على تعريف البدعة و بدع الشيء و ابتدعه : أنشأه وبدأه . و بدع الركية (أي:البئر) : أحدثها . وركي بديع : حديثة الحفر . وفي التنزيل : (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل (لسان العرب ج٨ ص٦)

و اصطلاحاً:

عرفها ابن رجب بأنها:» ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدلُ عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدلُ عليه فليس ببدعة شرعًا وإن كان بدعة لغة«(جامع العلوم والحكم (ص٢٦٥)).

وعرفها السيوطي بأنها:» فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان». (ينظر:الأمر بالإتباع (ص٨٨)).

وخلاصة ما سبق في معنى الابتداع الذي هو فعل البدعة:

هو ما أحدث في الدين و ليس له أصل شرعي يدل

عليه فيخرج ما أُحدث في أمور الدنيا ولم يقصد به عبادة

و البدعة قد تكون بالمخالفة التامة لأمر شرعي أو بمجرد النقص أو الزيادة فيه .

ما أحدث وله أصل في الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة .

ولمزيد من تأصيل المفهوم - وهو جدير بالمزيد- أنصح ببحثه في مظانه ككتاب الاعتصام للشاطبي(إبراهيم بن موسى ، (ت٧٩٠) أو كتاب السنن والمبتدعات للشقيري(ت١٣٧١) والذي قدم له فضيلة الشيخ حامد الفقي مؤسس الجماعة رحمه الله تعالى .

سؤال مهم وجوابه :

هل في الدين بدعة حسنة ؟ وبتعبير آخر : كيف نوفق بين قوله صلى الله عليه وسلم (كل بدعة ضلالة) وقول عمر رضى الله عنه (نعمت البدعة هذه) وكذا التوفيق بين قول بعض أهل العلم (كل بدعة محرمة) وبين تقسيم بعض العلماء البدعة إلى (مستحسنة ومستقبحة)

قال الحافظ ابن رجب : (قوله صلى الله عليه وسلم (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل في الدين يرجع إليه فهو ضلالة . والدين بريء منه ، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة . اهـ).

قلت : وهو المقصود بقول بعض العلماء كل بدعة محرمة : أي كل بدعة بمفهومها الشرعي لا اللغوي ، (أما قول عمر رضي الله عنه (نعمت البدعة) ، يريد البدعة اللغوية لا الشرعية ، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل إنه بدعة يكون المقصود لغة لا شرعا ، [مختصر من جامع العلوم والحكم (٢٦٦/١)] وفي هذه الحالة تحمد ولا تذم والمثال عليها (أي:على قول عمر رضى الله عنه : جمع القرآن في كتاب واحد، وكذلك صلاة التراويح ، وهذا التقسيم هو ما عناه الإمام شهاب الدين أبو شامة - وغيره ممن حذا حذوه من ثقات أهل العلم - : عندما عرف البدعة في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص٢٢) ط/دار الهدى) ثم قسمها إلى مستحسنة (أي: اللغوية) ومستقبحة(أي: الشرعية) ، علما بأن غايتي من هذا التوفيق بين كلام الثقات من علمائنا ألا يضرب الناس كلام العلماء بعضه ببعض أو يستدلون بقولهم في تقسيم البدعة على استباحة البدعة الشرعية مع أن قولهم : بدعة مستحسنة المراد به البدعة اللغوية كما أسلفنا ،فلا يوجد في الشرع بدعة حسنة وهذا بالطبع يختلف عن قول من قال : إن البدعة تأخذ الأحكام الخمسة فهذا قول مرفوض كما أفتى به العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله (فتاوى اللجنة الدائمة) فلا دليل عليه في الشرع فهو في نفسه بدعة .

ثانيا:الاتباع

تعريفه لغة:

قال ابن فارس: «(تبع) هو التّلو والقَفْو، يقال: تبعت فلانا إذا تلوته واتبعته»(وانظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٢/١)).

ثانيا: تعريف الاتباع اصطلاحا

قال ابن عبد البر: «الاتباع ما ثبت عليه الحجة (أي: قام عليه الدليل)»(٥٤٨/٧))

وبعيدا عن المصطلحات : القرآن يدعو إليه

إن المتأمل في كتاب الله تعالى ثم في كلام الأئمة في آياته ليجد أن قضية الاتباع هي مراده الحقيقي لأن العبد إذا كان متبعا فلا مراء في كونه موحدا مخلصا مستنا والأمثلة على ذلك كثيرة وكلها تخرج من مشكاة واحدة مع كونها تعالج القضية من جوانب مختلفة ومن ذلك :

قول الشاطبيّ (ت٧٩٠) - رحمه الله - متأملا في قوله تعالى:«وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [الشورى: ٥٢] : فالكتاب (أي : القرآن) هو المتّبع على الحقيقة، ومراتب النّاس بحسب اتّباعهم له ، ونبينا صلى الله عليه وسلم أوّل من هداه الله بالكتاب والإيمان، ثمّ من اتّبعه فيه، والكتاب هو الهدى، والوحي المنزّل عليه مرشد ومبيّن لذلك الهدى، والخلق مهتدون بالجميع ...وشرف الناس إنّما يثبت بحسب ما اتّصفوا به من الدّخول تحت أحكام الشّريعة ، والأخذ بها قولا واعتقادا وعملا، ...، فالشّرف إنّما هو بحسب المبالغة في تحكيم الشّريعة واتباعها) [انظر: ألاعتصام للشاطبي (٣٣٨/٢)]

ومن نفس المشكاة يحدثنا الإمام ابن كثير رحمه الله حول آية أخرى من كتاب الله توضح لنا - بل وتحصر- حب الله في اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم

فلقد زعم قوم محبتهم لله عز وجل فابتلاهم الله بقوله تعالى :« قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » [آل عمران:٣١]، والتي أطلق عليها العلماء آية المحبة، ومعناها كما يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره (ج١ ص٣٥٩)

: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله » انتهى بتصرف ، فإن من يدعي محبة الله جل وعلا ولم يتبع رسوله صلى الله عليه وسلم فهو عاص لله جل وعلا ولله در القائل :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه
هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

ومن واقع الصحابة

إنني لم أقصد بهذا العنوان أن أسرد أحاديث الأمر بالاتباع كحديث أم المؤمنين عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) (خ ٢٦٩٧ - م ١٧١٨) فمثل هذه الأحاديث تمتلئ بها الصحاح فأنصح نفسي وإخواني بمراجعتها لأهميتها، لكنني قصدت بذلك نقل ما ورد من حال الصحابة مما يدل على شدة اتباعهم وتمسكهم لعلمهم أن في ذلك نجاتهم ومن ذلك:

ما ورد عن الصديق رضى الله عنه : فمواقف اتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسعها مقام كهذا لكننا لا نعدم خير سيرة الصديق ولو باليسير فلم ينج الصديق مما ألم به إلا باتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك المعنى روى الإمام أحمد في (فضائل الصحابة) بسنده إلى أم المؤمنين عائشة أنها كانت تقول قبض النبي صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب واشرأب النفاق بالمدينة فلو نزل بالجبال الرواسي ما نزل بأبي لهاضها (ج ١ ص ٦٨) (والهيض معناه : كسر للعظم). ومع هذا حارب المرتدين وأنفذ جيش أسامة بن زيد لحرب الروم كما هو معلوم وأصر أن يظل أسامة أميرا على الجيش اتباعا لرسول الله وقال قولته المشهورة : (والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا حللت لواء عقده. ، فكتب الله للمسلمين النصر من حيث قد بدا لهم مظنة الهزيمة والخوف وذلك باتباعهم) (وانظر : تاريخ دمشق لابن عساكر(٢/٦٠))

والفاروق عمر رضى الله عنه يراجع نفسه في الحال : ففي البخاري عن زَيْدُ بن أَسْلَمَ عن أبيه أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال لِلرُّكْنِ (الأسود من الكعبة) أَمَا والله إني لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اسْتَلَمَكَ ما اسْتَلَمْتُكَ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ قال فما لنا وَلِلرَّمَلِ (وهو السير بهيئة الجري في الثلاث أشواط الأولى من الطواف) إنما كنا رَاءَيْنَا به الْمُشْرِكِينَ (أي: فعلناه في بداية الأمر لنري المشركين قوتنا) وقد أَهْلَكَهُمْ الله ثُمَّ قال شَيْءٌ صَنَعَهُ النبي صلى الله عليه وسلم فلا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ (صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٨٢)

بل ولعلمهم بأهمية اتباعهم لنبيهم لا ينتظرون يسألون أو كما يقول الناس في هذه الأزمنة يجادلون ليفهمون بل حالهم ينطق بما في صدورهم : سمعنا وأطعنا ، يبادرون بالطاعة خوفا من حضور الموت قبل فعل الأمر ومثاله - والأمثلة كثيرة - ما رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود(٨٨٩) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال:« بَيْنَمَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِأَصْحابه إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ. أَلْقَوا نِعَالَهُمْ. فَلَمَّا قَضى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم صَلاَتَهُ قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَائِكُمْ نِعَالَكُمْ؟ قالوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنا نِعَالَنَا. فَقَالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَراً» فسبحانَ اللهُ أين هذا اليوم مما نحن فيه من بذل العمر والجهد في اقناع النفس باتباع السنة والنفس الرديئة تأبى متعللة بعلل شتى ما بين طلب القناعة أو طلب التخفيف أو نحو ذلك ، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ثالثا: رجب بين الاتباع والابتداع

إننا في هذه الوقفة نريد أن نطبق ما تدارسناه عن الاتباع والابتداع بشكل عملي ، نريد أن نرى كيف نتناول أي مسألة من واقع الخوف من البدعة والحرص على السنة ، من واقع اتباع الدليل الذي هو الشرع

إننا على الجملة واختصارا نقول : لقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل هذا الشهر، صحيحها غير صريح، وصريحها ضعيف أو موضوع فلا يصح دليل صريح في تخصيص رجب بعبادة .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في رسالته (تبيين العجب بما ورد في فصل رجب ص: ٢٣)): «لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة» ، وقد جمع -رحمه الله- الضعيف فكان أحد عشر حديثا، وجمع الموضوع فكان واحدًا وعشرين حديثًا و بسبب الاستدلال بهذه الروايات الضعيفة والموضوعة أحدث الناس في شهر رجب بدعا كثيرة نبّه عليها أئمة الإسلام وعلماؤه، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيِّم، والشاطبي، وابن رجب ، وابن حجر ومن

المعاصرين: الشيخ علي محفوظ، والشقيري، و ابن باز، والألباني وابن عثيمين وغيرهم الكثير من الثقات من علماء الأمة رحم الله من مات وحفظ من هو على قيد الحياة .

ومن ذلك :

١ - ذبح ذبيحة يسمونها (العتيرة)، وقد كان أهل الجاهلية يذبحونها فأبطل الإسلام ذلك، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا عتيرة في الإسلام».[أخرجه أحمد (٢ / ٢٢٩)] ، قال أبو عبيدة : «العتيرة هي الرجبية ذبيحة كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب يتقربون بها لأصنامهم». [فتح الباري لابن حجر (٩ / ٥١٢)] .

وقال ابن رجب:» ويشبه الذبح في رجب اتخاذه موسماً وعيداً «. [لطائف المعارف (٢٢٧)] فربنا قد شرع لنا عيدين لا ثالث لهما الفطر والأضحى فعن أنس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر»(صحيح سنن أبي داوود (١١٣٤))

٢ - تخصيص رجب بصيام غيرما يشرع في غيره من الشهور ، من صيام الاثنين والخميس والأيام الثلاثة البيض وصيام يوم وإفطار يوم .

٣ - تخصيص رجب بالصدقة لاعتقاد فضله، والصدقة مشروعة في كل وقت، واعتقاد فضيلتها في رجب بذاته اعتقاد لا دليل عليه .

٤ - تخصيص رجب بعمرة يسمونها (العمرة الرجبية)، والعمرة مشروعة في أيام العام كلها (قاله بمعناه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في فتاويه مستندا لما قرره الإمام أبو شامة في كتاب البدع والحوادث)

٥- تخصيص رجب بصلاة مخصوصة ، ومثاله : ما يسمونها بصلاة الرَّغائب قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (مجموع الفتاوى) (١٢٣/٢٣) : صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين كمالك والشافعي وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والليث وغيرهم والحديث المروي فيها كذب بإجماع لأهل المعرفة بالحديث «

٦- تخصيصه بزيارة قبر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم : وزيارة مسجده صلى الله عليه وسلم وقبره مشروع في السنة كلها ، و لم يرد دليل على تخصيص رجب بذلك (أحكام الجنائز للألباني ص ٢٢٣).

٧- الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج في رجب بأي مظهر من مظاهر الاحتفال

وقد أبطل العلماء هذا الاحتفال من وجوه أهمها :

الأول: لم يقم دليل على تعيين ليلته، ولا على شهره « لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيين هذه الليلة فكل ما ورد في تعيينها غير صحيح ولا أصل له « (مجموع الفتاوى(٢٥/٢٩٨))

الثاني: وحتى لو ثبت تعيين تلك الليلة لم يجزْ لنا أن نحتفل فيها، ولا أنْ نُخصِّصها بشيء لم يشرعه الله ولا رسوله.

وخلاصة أقوال المحققين من العلماء أنها ليلة عظيمة القدر، مجهولة العين.

فائدة: لتأصيل هذه الأمثلة التي حذرنا منها وغيرها ينصح بمراجعة (الأصول الجامعة للبدعة) (من كتاب موسوعة الفقه الاسلامي ص٢١٩) ، فقد ذكر أن جميع البدع سواء كانت قولاً، أو فعلاً، أو اعتقاداً، تندرج تحت ثلاث قواعد كلية هي: الخروج على أحكام الدين بالكلية ، أوالتقرب إلى الله بما لم يشرع ، أو فعل الذرائع المباحة ولكنها تؤدي إلى تقرير بدعة (كمن التزم سنة من السنن بشكل يوهم أنها فريضة)

أما عن خلاصة ما نعرفه في المسنون في شهر رجب:

أولا: أنه من الأشهر الحرم كما سبق بيانه ونزيد عليه: قال تعالى :(يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام) أي لا تحلوا محرماته التي أمركم الله بتعظيمها ونهاكم عن ارتكابها فالنهي يشمل فعل القبيح ويشمل اعتقاده ، وقال تعالى: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) التوبة/٣٦ ، قال قتادة:إن الظلم في الأشهر الحُرم أعظم خطيئة ووزْرًا من الظلم فيما سواها وإن كان الظلم على كلِّ حَال عظيمًا، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء ، فحرمة انتهاك المحارم فيها أشد من غيرها (تفسير ابن أبي حاتم ١٧٩٣/٦)

ثانيا : أما عن باقي العبادات فرجب شأنه شأن سائر الشهور فإن ازدادت العبادة في رجب عنه في غيره وفي شعبان أكثر من رجب استعداد لشهر رمضان فهو واقع قبله وهذا يفسره قول بعض السلف: السنة مثل الشجرة و شهر رجب أيام توريقها و شعبان أيام تفريعها و رمضان أيام قطفها و الاستعداد لرمضان وهو مشروع كما هو معلوم ولا يتسع المقام لسرد فضله ، ومع ذلك نقول: السلامة لا يعدلها شيء و كما قال الإمام اللالكائي رحمه الله(ت٤١٨) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٨/١) بسنده إلى أبيّ بن كعب- رضى الله عنه- قال: « وإنّ اقتصادا في سبيل وسنّة خير من اجتهاد في خلاف ذلك » فاللهم بلغنا رمضان واجعل عملنا كله صالحا ولوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا ، والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة ٢٢

إعداد/ علي حشيش

٢٢٠- « إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا نِصْفُهُ مِنْ نُورٍ، وَنِصْفُهُ مِنْ ثَلْجٍ يُسَبِّحُ، يَقُولُ : سُبْحَانَكَ يَا مُؤَلِّفَ الثَّلْجِ إِلَى النُّورِ، وَلا يُطْفِئُ النُّورُ بَرْدَ الثَّلْجِ، وَلا بَرْدُ الثَّلْجِ حَرَّ النُّورِ، أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح٣٣٥) من حديث معاذ بن جبل، والعرباض بن سارية رضي الله عنهما مرفوعًا، وآفته حفص بن عمر، ذكره باسمه واسم أبيه فقط وهو من المتفق والمفترق؛ حيث إن عددهم في «التهذيب» خمسة عشر راويًا، وفي «الميزان» أكثر من ثلاثين راويًا، ولكن بالتحقيق هو حفص بن عمر بن ميمون العدني الذي روى عن ثور بن يزيد الشامي، قال الحافظ في «التهذيب» (٢/٣٥٣/٧١٨)، قال العقيلي: يحدث بالأباطيل وقال الآجري عن أبي داود ليس بشيء، قال: وسمعت ابن معين يقول: رجل سوء، وقال الدارقطني في «العلل»: «متروك». اهـ.

٢٢١- «إِنَّ للَّهَ ملكاً نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول: اللهم كما ألَّفت بين الثلج والنار كذلك ألِّف بين قلوب عبادك الصالحين».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي بهذا اللفظ في «الإحياء» (٢/١٥٨)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: أخرجه أبو الشيخ ابن حيّان في كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف. اهـ. قلت: وهذا منهج الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» وهو من دقيق فقه العراقي في «التخريج» عند الاختصار فلم يكتفِ بعزو الحديث إلى مصادر الحديث الأصلية، بل يذكر الراوي الأعلى، ثم درجة الحديث.

٢٢٢- «من جحد آية من القرآن فقد حل ضرب عنقه، ومن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، فلا سبيل لأحد عليه، إلا أن يصيب حدًّا، فيُقام عليه».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٢٥٣٩) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

وكذلك ابن عدي في «الكامل» (٢/٣٨٥) (١٣٩/٥٠٨)، وآفته حفص بن عمر بن ميمون العدني، روى هذا الحديث عن الحكم بن أبان، قال ابن عدي: «والحكم بن أبان وإن كان فيه لين، فإن حفصًا هذا ألين منه بكثير، والبلاء منه لا من الحكم، وعامة حديثه غير محفوظ». اهـ.

ولذلك ذكر له الذهبي في «الميزان» (١/٥٦٠/٢١٣٠) هذا الحديث، وجعله من منكراته، ولقد بينا حاله آنفًا.

٢٢٣- « مَا مِنْ أَحَدٍ يَلْبَسُ ثَوْبًا لِيُبَاهِيَ بِهِ لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، إِلا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْزِعَهُ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/٢٨٣/٦١٩) من طريق عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه عن محمد بن عبد الملك بن مروان عن أبيه عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فذكره، وعلته عبد الملك بن مروان بن الحكم الخليفة الأموي، قال الإمام الذهبي في «الميزان»

(٥٢٤٨/٦٦٤/٢): «أنَّى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل»، وقال الحافظ في «التقريب» (٥٢٣/١): «كان طالب علم قبل الخلافة، ثم اشتغل بها، فتغير حاله، ملك ثلاث عشرة سنة استقلالاً، وقبلها منازعًا لابن الزبير تسع سنين». اهـ. وعلة أخرى عبد الخالق بن زيد قال: الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٤١): «عبد الخالق بن زيد بن واقد: عن أبيه، منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه بينه السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١) قال: «البخاري يطلق (فيه نظر) و(سكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه ويطلق (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٢٢٤- «بُعثت نبياً في السابع والعشرين من رجب، فمن صام ذلك اليوم كان له كفارة ستين شهراً».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب بما ورد في شهر رجب» (ص٦٤) قال: «وروينا في جزء من فوائد هناد النسفي بإسناد له منكر إلى الزهري عن أنس مرفوعًا به». اهـ.

٢٢٥- «رجب شهر الله الأصم، من صام من رجب يومًا إيمانًا واحتسابًا؛ استوجب رضوان الله الأكبر».

الحديث لا يصح : أورده الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب» (ص٤٦) وقال: «وهو متن لا أصل له، اختلقه أبو البركات السقطي، وركّب له إسنادًا عن أبي سعيد مرفوعًا».

٢٢٦- «فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام، وفضل شعبان على سائر الشهور كفضلي على سائر الأنبياء، وفضل رمضان على سائر الشهور كفضل الله على خلقه».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب» (ص٤٥) قال: قرأت بخط سلفي الحافظ قال: قال أنبأنا الشيخ أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي، ثم ذكر السند عن أنس مرفوعًا، ثم قال: ورجال هذا السند ثقات إلا السقطي فهو الآفة، وكان مشهورًا بوضع الأحاديث وتركيب الأسانيد، ولم يحدث واحد من رجال هذا الإسناد بهذا الحديث قط. اهـ.

٢٢٧ - أَحِبُّوا صُهَيْبًا حُبَّ الْوَالِدَةِ لِوَلَدِهَا.

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٠١/٣) من حديث صهيب مرفوعًا، وقال الذهبي في «التلخيص»: «سنده واهٍ»، وعلته يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفي بن صهيب، قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٣٩٠/٣٧٩/٨): «فيه نظر»، ولقد بينا آنفًا أن البخاري يطلق (فيه نظر) فيمن تركوا حديثه. اهـ.

٢٢٨ - « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعْمَلُ ذَنْبًا، إلا وَقَفَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِإِحْصَاءِ ذُنُوبِهِ ثَلاثَ سَاعَاتٍ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ السَّاعَاتِ، لَمْ يُوقِفْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ..

الحديث لا يصح : أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٦٢/٤) من حديث أم عصمة مرفوعًا، وعلته أبو مهدي سعيد بن سنان الحمصي قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٣٥): «منكر الحديث»، وهذا المصطلح للبخاري قد بيناه آنفًا، وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٦٨): «متروك». وهذا المصطلح عند النسائي له معناه حيث بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». وذكر الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤١/٤) قال الدارقطني: «سعيد بن سنان اثنان: أبو مهدي حمصي يضع الحديث، وأبو سنان كوفي سكن الري من الثقات». اهـ.



من صفات عباد الرحمن

إعداد/ الشيخ/ مصطفى العدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: وبعد، فإن لعباد الرحمن صفات بيّنها الله في كتابه العزيز.

من صفات عباد الرحمن: التواضع والسكينة والوقار

قال تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» [الفرقان:٦٣]: هذا حالهم، يمشون على الأرض في تواضع وسكينة ووقار، يمشون على الأرض غير مستكبرين وغير متجبرين كذلك، فثَمَّ رجل يمشي على الأرض لمال قد آتاه الله إياه وابتلاه الله به، قد امتلأ صدره كبراً وغروراً، أما عباد الرحمن فليسوا كذلك، يعلمون تمام العلم أن ما هم فيه- سواءً كان خيراً أو كان شراً- إنما هو ابتلاء وفتنة، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: «بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [الزمر:٤٩]، وكما قال النبي الكريم الزكي سليمان -عليه السلام- لما رأى عرش ملكة سبأ مستقراً عنده -لقد انتقل إليه العرش في لمح البصر قبل أن يرتد إليه طرفه-: «قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ» [النمل:٤٠].

عباد الرحمن من شانهم أنهم يمشون على الأرض هوناً، أي: متواضعين، قلوبهم خاشعة لله، قلوبهم خائفة وجلة من لقاء الله، قلوبهم خائفة من مكر الله سبحانه وتعالى، فهم خائفون من إحباط السيئات التي تطالبهم، إذا فكر أحدهم في شيء يسخط الرب عليه، سرعان ما رجع إلى صوابه وسرعان ما يثوب إلى رشده.

من صفات عباد الرحمن: القول الطيب الحسن

«الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» [الفرقان:٦٣]: فكم من جاهل؟!! فالله جَبَلَ الخلق على أخلاق شتى كما قال: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» [نوح:١٤]، فمنهم كريم الأخلاق، ومنهم بذيء الأخلاق، سيئ الصفات، هكذا جُبِل الخلق، «إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى» [الليل:٤].

فعباد الرحمن إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، أي: قالوا قولاً مهدئاً، قولاً مؤمِّناً، قولاً طيباً، لا يقابلون الإساءة بالإساءة، وإنما من شيمهم العفو والصفح كما أمرهم ربهم، وكما علمهم ربهم إذ قال: «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» [فصلت:٣٤-٣٥].

من صفات عباد الرحمن: قيام الليل

قال الله سبحانه -مبيناً حالهم في الليل بعد أن بين حالهم في النهار-: «وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا» [الفرقان:٦٤] فهذا مبيتهم يبيتون لربهم، فعملهم لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، لا رياء فيه، ولا سمعة فيه، وهذا مستفاد من قوله: «يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ»، حالهم دائرٌ بين القيام والسجود.

«يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا» [الفرقان:٦٤]: وكما وصفهم ربهم سبحانه: «وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» [الذاريات:١٨].

وكما وصفهم بقوله: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ» [السجدة:١٦] لماذا؟ «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» [السجدة:١٦].

وكما ذكرهم ربنا بقوله: «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ» [الزمر:٩] أي: يطيل القيام ساعات الليل الطويلة «سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ» [الزمر:٩] هذا مطلبهم؛ حَذَرُ الآخرةِ وطلبُ رحمةِ الله سبحانه وتعالى، ليلهم على هذا المنوال.

هذه -يا إخوة- ليست أساطير، إنما هي سير أهل الفضل والصلاح، فهم قدوة للسالكين الذين يريدون أن يسلكوا مسلك أهل الفضل، مسلك عباد الرحمن الذين يبيتون لربهم، ليس مبيتهم في جدل طويل، وليس مبيتهم في لهوٍ وعبث، إنما مبيتهم لربهم سجداً وقياماً.

ومع هذا المبيت الطويل الذي يتقلبون فيه بين السجود والقيام والركوع، فهم يقولون: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم! هم يعملون الأعمال ويسألون الله القبول، لا يعملون الأعمال ويفتخرون بها، بل كما وصفهم ربهم: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» [المؤمنون:٦٠].

من صفات عباد الرحمن: الاقتصاد في معايشهم

ثم يبين الله سبحانه وتعالى منهج حياة هؤلاء في [فصلت:٤٢]، وشرعُنا خير شرع، وربنا سبحانه وتعالى ما فرط في الكتاب من شيء.

فليس فقط يبين لنا ربُنا حالَنا في الليل وصَلاتَنا في الليل؛ ولكن منهجنا الذي نسلكه كذلك في الإنفاق يبينه لنا ربُنا.

يبين لنا ربنا سبحانه اقتصادنا وكيف نكون فيه، قال الله سبحانه: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا» [الفرقان:٦٧] هذا حالهم في الإنفاق، ليسوا بالمتهورين المسرفين المبذرين إخوان الشياطين، وليسوا بالشحيحين البخلاء المذمومين، الذين حازوا شر الأدواء وهو داء البخل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من سيدكم يا بني عمرو بنِ عوفٍ؟! قالوا: يا رسول الله! الجد بن قيس، على أنا نُبَخِّلُه يا رسول الله! قال: وأي داء أدوى من البخل؟! بل سيدكم فلان) وسمى لهم النبي صلى الله عليه وسلم سيداً آخر غير الجد بن قيس.

فعباد الرحمن مقتصدون في سيرتهم، مقتصدون في إنفاقهم، كما علمهم ربهم إذ قال: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» [الإسراء:٢٩].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنِ الاقتصاد والسمت الحسن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة). [رواه الترمذي وقال :حسن صحيح.]

فكما يبين الله لنا أحوالنا في الليل، وكما يبين الله لنا أحوالنا في التفكر في آلائه، يبين لنا طريقتنا في الإنفاق كما قال ذلك سبحانه وتعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا» [الفرقان:٦٧] أي: في اعتدال وتوسط. فالحمد لله على هذا الدين القويم.

من صفات عباد الرحمن: أنهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه

فهكذا عباد الرحمن، ليست أمورهم مبنية على الأماني الباطلة فقط، بل قدموا أعمالاً يرجون بها رحمة ربهم سبحانه وتعالى، قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ» [الفرقان:٦٥] هكذا يتعوذون بالله من النار؛ لأنهم يعلمون أنه لا صارف للعذاب إلا هو سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: «إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا» [الفرقان:٦٥] أي: مستديماً ملازماً، «إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» [الفرقان:٦٦].

من صفات عباد الرحمن: عدم الإشراك بالله

ثم يبين لنا ربنا سبحانه أصل ديننا الذي هو أصل الأصول كلها، ألا وهو توحيده سبحانه، قال الله سبحانه: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ» [الفرقان:٦٨] بل هم موحدون، وانفصل أهل الإسلام عن سائر الملل

والنحل في كل البقاع، بأن أهل الإسلام يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أما سائر أهل الأديان فيجعلون لله شريكاً آخر، كل يدعي لله شريكاً غير الآخر، أما أهل الإسلام فلا يدعون مع الله إلهاً آخر، فاتخاذ إله آخر أعظم جُرم يرتكب في حق الرب.

سئل النبي صلى الله عليه وسلم: (أي الذنب أعظم يا رسول الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك) سبحانه وتعالى، هذا ذنب لا يُغفر بحال إذا مات عليه شخص. قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا» [النساء:٤٨]، وقال سبحانه: «وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا» [النساء:١١٦]، وقال سبحانه: «وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» [الأنعام:٨٨].

من صفات عباد الرحمن: عدم سفكهم للدماء والوقوع في الزنا

قال الله سبحانه في شأن أهل الإيمان أهل التوحيد: «وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ» [الفرقان:٦٨] والحق موضح في قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) وجاءت أمور أُخر تندرج تحت هذه البنود السالفة: كقتال الفئة الباغية التي ذكرها الله في كتابه: «فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ» [الحجرات:٩]، وكالمفسدين في الأرض من قطاع الطرق، وكمن عمل عمل قوم لوط، كما هو منصوص في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام.

«وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا» [الفرقان:٦٨] هذه الآية فيها رد على أهل الإرجاء الذين يقولون: إن الإيمان في القلوب فقط، وليس على عمل الجوارح ثواب أو عقاب، وهذا قول من أضل الأقوال وأبعدها عن تشريعات الحكيم الحميد سبحانه، أي: الذين يقولون: إن الأعمال تتأخر عن الاعتقاد، والله توعد القتلة وتوعد الزناة وتوعد أهل الشرك حيث قال: «وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا» [الفرقان:٦٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ورأيت رجالاً ونساءً عراة على مثل التنور، يأتيهم لهب من أسفل منهم فيحرق فروجهم -تلك الفروج التي استمتعوا بها في الحرام- فيُسمع لهم صراخ ويُسمع لهم ضوضاء ويُسمع لهم عويل، سألتُ: مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني) عياذاً بالله من ذلك! وقال سبحانه: «يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا» [الفرقان:٦٩] أي: ذليلاً مهاناً حقيراً والعياذ بالله!

من صفات عباد الرحمن: ابتعادهم عن شهادة الزور

ثم بيّن الله صفات هؤلاء الصالحين الأتقياء عباد الرحمن فقال سبحانه: «وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ» [الفرقان:٧٢] هذا حالهم.

الشهادة هنا بمعنى الحضور، فتقول: شهد فلانٌ الشيءَ، أي: حضر فلان الشيءَ.

وتقول: شهد فلانٌ على الشيء، أي: أقام عليه إقراراً.

فالشهادة هنا بمعنى الحضور.

فقوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ» [الفرقان:٧٢] أي: لا يحضرون مجالس اللهو، ولا مجالس الشرك، ولا مجالس العبث، ولا مجالس المجون، فهذا ليس من دأبهم، ليس من ديدنهم، ليس من شأنهم.

هذا شأن سَقَطَة الناس وسَفَلَة الناس، هذا شأن الغافلين من الناس.

أما أولو الألباب فكما رُوي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام، وهو طفل صغير صبي يأتيه أصحابه فيقولون: (يا يحيى! هلم نلعب يا يحيى! فيقول: ما للعب خُلقنا، ما للعب خُلقنا).

وهذا من تأويل قوله تعالى: «وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا» [مريم:١٢].

فأولو الألباب وعباد الرحمن لا يحضرون هذه المجالس المدنسة؛ مجالس اللهو والمجون، مجالس الغزل، مجالس العشق الخلاعة ، والفسق الذي يفعله أهل الوقاحة وأهل السفور وأهل التمرد وأهل العصيان.

هم لا يحضرون مثل هذه المجالس بحال من الأحوال، ولا يحضرون مجالس الشرك كذلك.

وكذلك هم لا يشهدون الزور بالمعنى المعهود للشهادات، فإذا دُعُوا إلى شهادة كانوا قوامين لله شهداء بالقسط، لا يشهدون الزور، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قال الصحابة: ليته سكت!).

فهم إذا رءوا شيئاً شهدوا كما رءوا ليست شهادتهم للمشهود له، إنما شهادتهم لله، فإن الله أمر بإقامة الشهادة له، قال سبحانه: «وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ» [الطلاق:٢].

فكذلك علموا قول الله تعالى في كاتم الشهادة: «وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ» [البقرة:٢٨٣] أي: فاجر قلبه. فلذلك قالوا كلمة الحق، قالوها ولم يخشوا في الله لومة لائم، علموا أن الله قادر على أن يستبدلهم بقوم آخرين.

من صفات عباد الرحمن: الانتفاع بكتاب الله

قال سبحانه: «وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا» [الفرقان:٧٣] لم يتعاموا عن التذكير، بل انتفعوا به، لم يكونوا كالذين قال الله فيهم: «وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ» [البقرة:٢٠٦] فهذا جزاءه كما قال ربنا: «فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ» [البقرة:٢٠٦]؛ ولكن يقفون عند حدود الله، إذا ذُكروا تذكروا، كما كان أمير المؤمنين عمر؛ إذ دخل عليه عيينة بن حصن الفزاري فقال له -أول ما دخل عليه-: اتق الله يا ابن الخطاب ! فإنك لا تعدل.

فهم عمر أن يبطش به؛ لما قال له هذه المقالة: اتقِ الله يا ابن الخطاب ! فإنك لا تعدل.
فقال الحر بن قيس مذكراً لأمير المؤمنين عمر – والحر كان من حملة كتاب الله-: يا أمير المؤمنين! إن هذا الرجل من الجاهلين، والله يقول: « خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ » [الأعراف:١٩٩]، قال: فوالله! ما تخطاها أمير المؤمنين عمر ولا تعداها، بل كان وقافاً عند كتاب الله عزّ وجل.
هؤلاء قوم وصفهم الله بقوله: «وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا » [الفرقان:٧٣]، أي: لم يكونوا صماً عن استماعها، ولا عمياناً عن الانتفاع بها وإبصارها.

من صفات عباد الرحمن: الابتعاد عن اللغو

قال سبحانه: «وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا» [الفرقان:٧٢] كما قال تعالى في كتابه الكريم: «وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ » [المؤمنون:٣]، وقال سبحانه: « وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ » [القصص:٥٥].
قال الله سبحانه: «وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا » [الفرقان:٧٢]: لم ينلهم شيء من هذا اللغو، ولم ينلهم شيء من هذا الباطل.
من صفات عباد الرحمن: سؤال الله الولد الصالح
قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ» [الفرقان:٧٤] أي: ما تقرُّ به أعيننا، فلا ننظر إلى المحرم، رجل يريد من ربه أن يُقنعه بزوجته، وأن يعفه بزوجته، وأن تقر عينه بزوجته، يسأل ربه ذلك؛ حتى لا يلتجئ ببصره إلى الحرام، يسأل ربه أن يمده بأولاد صالحين طيبين محسنين؛ حتى لا يلتجئ إلى حسد أولاد الآخرين، يسأل الله أولاداً صالحين؛ حتى يدعوا ربهم له بعد موته.
« وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ » [الفرقان:٧٤] لا يطلبون الولد للفخر ولا للخيلاء ولا للتباهي ولا للاستكثار أبداً، فإذا كان الولد سيأتي طالحاً والعياذ بالله! فبئس المجيء جاء، فليذهب وليمت في صغره، ولا يُبكى عليه، فها هو الخضر يقتل غلاماً بأمر الله! لمَ قتله؟ قال: « وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا» [الكهف:٨٠]، وقال بعد ذلك: «وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى» [الكهف:٨٢].

من صفات عباد الرحمن: سؤال الله أن يكونوا أئمة صالحين

«وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » [الفرقان:٧٤] أي: اجعلنا أئمة لأهل التقى، اجعلنا أئمة في صلاتنا، في زكاتنا، في أقوالنا، في أفعالنا، لا يطلبون أن يكونوا أئمة في الإجرام، ولا أئمة في الفسق، إنما يطلبون أن يكونوا أئمة للمتقين، «وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » [الفرقان:٧٤].
أما عن مآل وجزاء عباد الرحمن وسبب ذلك، فقد قال تعالى: « أُو۟لَٰٓئِكَ » [الفرقان:٧٥] أي: الذين ثبتت صفاتهم وظهرت أعمالهم واتضحت معالمهم ومعتقداتهم.
« أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟» [الفرقان:٧٥]، والغرف في أعالي الجنان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في السماء؛ لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها أحد غيرهم؟ قال: كلا، والذي نفسي بيده؛ رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: وإن أبا بكر وعمر منهم) رضي الله تعالى عنهما، نسأل الله أن يلحقنا وإياكم بهم.
« أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟» [الفرقان:٧٥]: صبروا على ماذا؟ صبروا على التكاليف التي كلفهم الله بها، صبروا على جهل الجاهلين، صبروا على عبادة ربهم، صبروا على طاعة الله، صبروا على الجوع، صبروا على الخوف، صبروا عند البأساء وعند الضراء وحين البأس، أعرضوا عن اللغو، وصبروا على أذى المؤذين وجهل الجاهلين.
« أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا» [الفرقان:٧٥] تحيةً من مَن؟ وتسليماً من مَن؟ قال تعالى: « سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ» [يس:٥٨]، وقال سبحانه: «وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ» مسلمين قائلين: «سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ » [الرعد:٢٤].
سلام من الله، سلام من الملائكة، سلام من الأنبياء.
« لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا» [الواقعة:٢٥-٢٦].
«وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا» [الفرقان:٧٥]: كل ذلك -بعد توفيق الله- بصبرهم، كما قال تعالى: « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ» [السجدة:٢٤].
وكما قال تعالى عن الخليل إبراهيم: «وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» [البقرة:١٢٤]: قام بهن خير قيام، صبر على النار إذ ألقي فيها، وصبر على ذبح ولده إذ أُمر بذبحه، وصبر على الختان إذ أُمر بالاختتان وهو ابن ثمانين سنة، فاختتن بالقَدُوم، وصبر على لقاء الجبابرة، وصبر على بناء الكعبة، صبر على خصال الفطرة، فالله قال له بعد هذا الصبر: «إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» [البقرة:١٢٤].
وهكذا عباد الرحمن «يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا» [الفرقان:٧٥-٧٦] أي: لا يتحولون عنها أبداً، «لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا» [الكهف:١٠٨].
« خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا» [الفرقان:٧٦]: نِعْم المقر ونِعْم المقام. الحمد لله رب العالمين.

خطورة الجرائم الخلقية

الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حميد
إعداد/
إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة







الحمد لله، الحمد لله ليس لفضله مُنتهى، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٥- ٨]، أحمده -سبحانه- وأشكرُه، نعمُه لا تُحصَى، وجودُه لا يُستقصَى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأولى، وأشهد أن سيدَنا ونبيَنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه المبعوثُ بالرحمة والهُدى، صلى الله وسلم وبارَك عليه، سلَم عليه الشجر، وسبَح بين يدَيه الحصَى، وعلى آله السادة الطيبين النُجبَاء، وأصحابه الغُر الميامين الأصفِياء، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ وسارَ على نهجِهم فاهتدَى.

أما بعد:

فأُوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

إن في القيامة لحسَرات، وإن في الحشر لزفرات، وإن عند الصراط لعثرات، والظلمُ يومئذٍ ظُلمات، والهولُ كل الهول حين تَعرضُ الحسناتُ والسيئاتُ، فمن زُحزِح عن النار وأُدخِل الجنة فقد فازَ ونالَ عالِيَ الدرجات.

فاتَق الله -يا عبد الله-؛ فما ثبَت المواعظَ إلا العملُ بها، ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٦- ٦٩].

غيرة الله على عباده المؤمنين:

أيها المسلمون: إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرةُ الله أن يأتي المؤمنُ ما حرَم الله، من أجل ذلك حرَم الفواحش.

الغيرة أسمى سمات الرجل الحر والمرأة الكريمة:

الغيرةُ -وربكم- أسمَى سمات الرجل الحُر الكريم والمرأة الحُرَة الكريمة -فضلاً عن المُسلم الصالح الغَيور، وأنى الغَيور من الديُوث؟! شقاء البشرية وتعاستُها، وفسادُ المجتمعات وتفكُكها في ذهاب الغَيرة، واضمِحلال الكرامة.

نعم -عباد الله- حينما يكون المجتمع صارمًا في نظام أخلاقه، وضوابط سلوكه، غيورًا على كرامته وكرامة أمته، مؤثرًا رضا الله على نوازع شهواته، حينئذ تستقيمُ في طريق الصلاح مساراته، وترتفعُ في منهج الإصلاح مناراته.

بصيانة العرض يتجلى صفاءُ الدين، وجمالُ الإنسانية، وبتدنيسه وهوانه ينزلُ الإنسانُ إلى أحط الحيوانات بهيميةً، ومن حُرم الغيرة حُرم طُهر الحياة، ولا يُمتدحُ بالغيرة إلا كرامُ الرجال وكرائمُ النساء.

ابتلاء العصر بانحرافات مقيتة:







معاشر المسلمين: لقد ابتُلي أهلُ هذا العصر بانحراف مقيت، يُريد تجريد الإنسان من إنسانيته، ومن أعلى خصائصه التي أكرمه الله بها، وفضله فيها على كثير ممن خلق تفضيلاً.

وإن مما يُخيفُ ويُرعب: مُستوى المجاهرة في هذا الانحراف الذي أصبحت تتبناه مُنظماتٌ وقوانين وتشريعات -نسأل الله السلامة والعافية- ليُضفوا الشرعيةَ والإباحيةَ على ما حرمه الله، وحرمته جميعُ الديانات، وأبته الفطرُ السليمة، والنفوسُ السويةُ.

الفواحش تستعبد النفوس المريضة:

أتدرون ما المقصودُ -يا عباد الله-؟! إنه اللواطُ والسحاق، إنه الجنسُ الثالث والمثليُّون، في أسماء ونعوت يستحيي الكريمُ أن يلفظها، ويأنفُ ذو المروءة أن يتفوه بها، فضلاً عن أن يُؤذي بها الأسماع.

فتنةٌ وبلاءٌ وفواحش تستعبدُ النفوسَ المريضة، يعيشون عيشةَ الهوان، أسرى أهوائهم، انحرفوا عن مسالك الرُّشد وسبيل القصد، شذوذٌ يُخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يطبعه الله عليه، حتى الحيوان البهيم لا يسلك هذا المسلك.

بل هو ذو طبع منكوس، وإذا انتكس الطبعُ انتكس القلبُ والعملُ والهُدى، فيستطيبُ الخبيثَ، ويفسُدُ حالُه وكلامُه وعملُه.

اللواطُ -عياذًا بالله- يجلبُ الهمَّ والغمَّ، والنُّفرةَ من الفاعل والمفعول به، ويُظلمُ الصدرَ، ويكسو النفسَ وحشةً، يظهرُ على صاحبه كالعلامة، يعرفُها من له أدنى فراسة.

بل لقد قال ابن القيم -رحمه الله-: «إنه يُفسدُ حالَ الفاعل والمفعول فسادًا لا يكادُ يُرجى بعده صلاحٌ، إلا أن يشاءَ الله بالتوبة النصوح».

يذهبُ بالحياء، والحياءُ هو حياتُه وحياةُ القلوب، ومن فقدَ الحياءَ استحسنَ القبيحَ، واستقبحَ الحسنَ، وذهبَ ماءُ وجهه، وحينئذ يستحكمُ فيه الفسادُ والانحراف، عياذًا بالله من مقت الله.

أثر الابتلاءات على نفسية الإنسان:

معاشر المسلمين: لم يبتل الله -سبحانه- بهذه الكبيرة قبل قوم لوط أحدًا من العالمين، وعاقبهم عقوبةً لم يُعاقبها أحدًا غيرهم، وجمعَ عليهم أنواعَ العقوبات، منها: الهلاك، وقلب الديار، والخسف، والرجم بالحجارة من السماء، فنكلَ بهم نكالاً لم يُنكله بأمة سواهم، وذلك لعظيم فسادهم، وفظاعَةَ جُرمهم.

يقولُ الحافظُ ابن القيم -رحمه الله-: «لما كانت مفسدةُ اللوطية من أعظم المفاسد، كانت عقوبتُه في الدنيا والآخرة من أعظم العقوبات».

وقد لعنَ نبيُّنا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- مُرتكبَ هذه الفاحشة، فقال: «لعنَ الله من عملَ عملَ قوم لوط، لعنَ الله من عملَ عملَ قوم لوط، لعنَ اللهُ من عملَ عملَ قوم لوط». قالها ثلاثًا. رواه أحمد في مسنده، والنسائي في سننه، والحاكمُ في مُستدركه، وقال: «صحيحُ الإسناد ولم يُخرجاه».

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «من وجدتُموه يعملُ عملَ قوم لوط فاقتلُوا الفاعلَ والمفعولَ به». رواه أحمدُ، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه.

وعند الترمذي: «ملعونٌ من عملَ عملَ قوم لوط». رواه ابن حبان وغيره، وإسنادُه على شرط البخاري.

معاشر الأحبة: ثم تأملوا هذا الحديث عن نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-: عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: أقبلَ علينا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: «يا معشر المهاجرين: خمسٌ خصال إذا ابتُليتُم بهنَّ -وأعوذُ بالله أن تُدركُوهنَ-: لم تظهر الفاحشةُ في قوم حتى يُعلنُوا بها، إلا فشا فيهم الطاعُون والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافهم...». الحديث.

المجاهرة بالفواحش وأثرها في المجتمع:

ثم انظُروا ما تقولُه الإحصاءات العالميةُ، تقول:

«إن مُعدلات انتشار مرض نقص المناعة «الإيدز» تظهرُ في المُخنثين من الرجال والمُسترجلات من النساء بنسبةٍ تزيدُ على عشرين مرَّةً عن غيرهم».

كما ذكرت المُنظمة ظهورَ أوبئة جديدة من هؤلاء الشواذ اللوطيين والسحاقيات في مناطق عديدة من العالَم، كما تتراوحُ الإصابة فيما بين هؤلاء المُخنثين والمُسترجلات إلى نسب تصل إلى ثمانية وستين بالمائة.

ومن الأمراض التي يُبتلى بها هؤلاء الشُذاذ: الوباءُ الكبديُّ، ومرضُ مُتلازمة أمعاء الشواذ، والحُمى المُضخمة للخلايا، مع أمراض عصبيَة، واضطرابات نفسيَة، وقلق واكتئاب، وشعور بالنقص، قد يقودُ إلى القتل والانتحار -عياذاً بالله-.

أما قولُ نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-: «حتى يُعلنُوا بها». فإن الأمرَ مُخيف.

نعم، إن مما يُخيفُ ويُرعب: مُستوى المُجاهرة الذي أصبحت تتبناه مُنظمات وقوانينُ وتشريعات -نسأل الله السلامة والعافية- ليُضفوا الشرعيَة والإباحيَة على ما حرم الله، وحرمته جميع الديانات، وأبَتْه الفطرُ السليمة والكرامات العُليا، في خروج صارخ على تعاليم الشرع المُطهر، والأخلاق الرفيعة، والفضائل العُليا، والقيَم الساميَة.

قال بعض أهل العلم: إن الجُرأة على الفواحش تُجرئ على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظُلم الخلق، وإضاعة المال والأهل والعيال.

هل الحريةُ تعني المُجاهرة والمُفاخرة والتباهي -عياذًا بالله- بالأفعال الشاذة والمُنحرفة والمُحرمة؟!

ومما يُؤسَفُ له: أن هذه المُنظمات الدوليَة المُؤتمنة على الصحَة في العالَم لم تُفكر أو تُوص بمنع هذه الجرائم، وإنما اشتغلت بإيجاد ما أسمَتْه «الطرق الآمنة التي تُؤمنُ احتياجات هؤلاء الشواذ واللوطيَة المُخنثين»، مع اعترافها بقولها: «إنها لم تتمكن من كبح جماح انتشار فيروس الإيدز»!!

أيُّ انتكاسة أعظم ممن يدعي أنه يُحافظُ على حقوق الإنسان وهو يُحوله إلى بهيمة أو أحط من البهيمة؟! فليس في البهائم من يعلو فيها الذكرُ على الذكر، أو الأنثى على الأنثى.

أيُّ حماية لهؤلاء الشواذ؛ بل أيُّ حقوق لمن ينتهكُ حُرمات الله، ويقتلُ العفة، وينحَرُ الفضيلة؟! إنها مسالكُ الجاهليَة المُظلمة.

أسباب الوقوع في الفواحش:

أيها الإخوة في الله: ولتعلموا أن من أسباب الوقوع في مثل هذه القاذورات والفواحش: الإعراض عن الله. من عرف ربه وأقبل عليه جمعَ عليه قلبه، وانتظمَ أمرُه، وطابت نفسُه، واستقامت فطرتُه، وصلَح أمرُه.

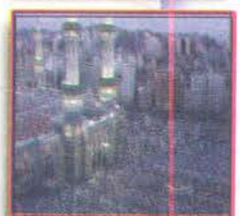
ومن أسباب الوقوع والانحراف: الفراغ، يقول ابن عقيل -رحمه الله-: «وما تكون هذه الفواحش إلا لأرعَن بطّال، وقل أن يكون في شُغل من عبادة أو صناعة أو تجارة».

وقال حكيمٌ: «هو سُوء اختيار صادف نفسًا فارغة».

وأعظمُ الفراغ: فراغُ القلب من محبة الله وخشيته ولذة القرب منه وحُسن عبادته، والنفسُ لا تقعُدُ فارغة، فمن لم يشغلها بما ينفع شغلَتْه بما يضُرُّ.







ومن أسباب الانحراف: وسائلُ الإعلام المُنحرفة، فلها تأثيرُها البالغ في جر الناس والنفوس إلى الهاويَة، في صُورها، وكلماتها، وانفعالاتها، وقصصها، ومُسلسلاتها، مما يُبعدُ عن الحياء والحشمة، والوقار، والعفة، والغيرة، والمروءة.

ويكثرُ في ذلك بعضُ الكتابات، والمقالات المُنحرفة، والروايات الساقطة، وسيَر المُنحرفين والشاذين، وما يُسمُونه بمُغامراتهم العاطفيَة، ومُراهقاتهم الشائنة.

لا بُدَّ من الرقابة الصارمة على هذا الإعلام المُنحرف، وعدم التهاوُن في بث ما يُروج له أو يُهوِّن من وقعه من القصص الخليعة، أو التمثيليات الساقطة، والروايات الإباحيَة، والشذوذ الممقوت، نسأل الله الحماية والعافية.

ومن أسباب الانحراف: التهتُّك، والتبرُّج، والسُفور، وما يدعُو إليه من إطلاق البصر، والنظرُ بريدُ الفواحش، وهو سهمٌ من سهام إبليس.

والحشمةُ والسترُ لا يبعثُها إلا دينٌ أو خُلُق، والسترُ والاحتشام مُنسجمٌ مع الغيرة، والعُريُ والتهتُّك مُنسجمٌ مع الشهوة؛ فالغيرةُ تبعَثُ

على الحجاب، والشهوةُ تبعَثُ على السُّفور؛ بل لقد ضحَوا بالغيرة من أجل المُتعَة، أخرَجوهنَ كاسيات عاريات في مُقابل أن تنازَلوا عن غيرتهم على أزواجهم وبناتهم وأخواتهم.

ومن أسباب الانحراف: سُوءُ استخدام أدوات التواصُل من الهواتف، والشبكات، والمواقع، وما يجُرُه ذلك من سُوء القول والعمل، مما يُوقع في سُوء العواقب وسُوء الفعال.

عباد الله: فإن من ضَعُفَت غيرتُه على دينه ضعُفَت غيرتُه على عرضه لا محالَة، وقد قالوا -وبئسَ ما قالوا-: إنَ الحجابَ والحشمة والمُحافَظة هي التي تدعُو إلى الكَبت والحرمان! وقد كشفُوا كلَ شيء، وأباحُوا كل شيء، وما زادَهم ذلك إلا سَعارًا وجنونًا في الجري وراء الشهوات، وإشباع الغرائز في الحرام، فأحلُوا ما حرَم الله، وحرَموا ما أحل الله، حتى كادُوا أن يقولوا لأهل العفَة والحشمة والكرامة: (أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) [الأعراف: ٨٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ) [العنكبوت: ٢٨- ٣٠].

أسباب الوقاية والسلامة من الفواحش:

أيها المسلمون: انتشارُ الفواحش من أكبر أسباب زوال النعَم وحُلول النقَم؛ فإنها تُوجبُ سخَط الله ومكرَه وإعراضَه عن الواقع فيها، فأيُ خير يُرجَى وأيُ شر يُؤمَن من عبد حلت عليه لعنَة الله وسخطُه؟! وكيف تكونُ حياةُ من مقتَه ربُه وأعرض عنه ولم ينظُر إليه؟!

عباد الله: أما أسباب الوقاية والسلامة من هذه الفواحش المُنكَرة؛ فأولُها: الإخلاصُ لله، واللجوء إليه، والعياذُ بجنابه -عزَ شانُه-، وقد قال الله في نبيه يوسف -عليه السلام-: (كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ) [يوسف: ٢٤].

يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن العبدَ إذا ذاقَ طعمَ الإخلاص لم يكُن عندَه شيءٌ قط أحلَى من ذلك، ولا ألذَ ولا أمتعَ ولا أطيبَ».

فالله يصرفُ عن عبده ما يسوؤُه من المَيل إلى هذه الفواحش وأصحابها والتعلُق بها بإخلاصه لربه.

ومن ذلك: غضُ البصر؛ فغضُ البصر يُورثُ الراحةَ والطُمأنينة، يقول -عزَ شانُه-: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ) [النور: ٣٠].

فجعلَ غضَ البصر وحفظَ الفَرْج أقوى تزكيَة للنفوس، وزكاءُ النفوس يتضمَنُ زوالَ جميع الشُرور من الفواحش والظُلم والشرك والكذب وغيرها، يقول بعضُ السَلَف: «ما غَض أحدٌ بَصرَه عما حرَم الله إلا أوجدَ الله له نورًا في قلبه يجدُ حلاوةَ ذلك».



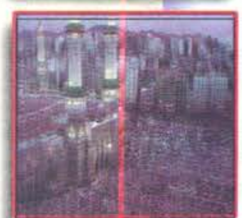
وغضُ البصرُ يُورِثُ ثلاثَ خصال: حلاوةَ الإيمان ولذَتَه، ونورَ القلب وفراسَتَه، وقُوَةَ القلب وثباتَه وشجاعتَه.

وسُئل الجُنَيد -رحمه الله-: بمَ يُستعَانُ على غضِ البصر؟! قالَ: «بعلمك أن نظرَ اللهِ إليك أسبقُ إلى ما تنظُرُه».



من الأسباب المانعة الحافظة -بإذن الله وعونه-: البُعدُ عن مواطن الفواحش، وبيئاتها، وأماكن الريَب، فإذا ابتعَدَ البدنُ ابتعَدَ القلبُ.

ومن ذلك: الاشتغالُ بما ينفع، فإذا كان الفراغُ يُوقِعُ في المصائب؛ فإن الاشتغال بما ينفع يحفَظُ العُمر، ويُثمرُ البرَ والخير، وما ينفعُ لا يقعُ تحت حصر؛ من خدمة الأهل، وطلب المعاش، والصناعات، والتجارات، والصُحبة الطيبة.



ومن ذلك: الاجتهادُ في أنواع الطاعات والعبادات، وقد قال -عزَ شانُه-: (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ) [العنكبوت: ٤٥]، وقال في الزكاة: (خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) [التوبة: ١٠٣]، ولاسيَما الاشتغالُ بالذكر والدعاء والاستغفار وحُسن العبادة.

ومن الوصايا: الحرصُ التامُ على تماسُك الأسرة، وبذل المزيد من الرعاية والعنَاية، في الأبناء والبنات، وحُسن تربيتهم ووقايتهم من البيئات الموبوءَة، الحمد لله رب العالمين .



دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

مثل الذي كفر بعد إيمانه

مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو من سورة الأنعام (الآية الحادية والسبعون): « قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ » [الأنعام:٧١].

المعنى الإجمالي:

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: وهذا مَثَل ضربه الله تعالى ذكره لمن كفر بالله بعد إيمانه، فاتبع الشياطين، من أهل الشرك بالله، وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه، المقيمون على الدين الحق يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق وعنه زائل، يقولون له: «ائتنا» فكن معنا على استقامة وهدى، وهو يأبى ذلك ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان. اهـ. الطبري.

وقال الطاهر بن عاشور في «التحرير والتنوير»: «هو تمثيلٌ لحال المرتد إلى الشرك بعد أن أسلم بحالِ من خرج في مُهِمٍّ فرجع على عقبيه ولم يقضِ ما خرج له». اهـ.

المعنى المفصل

قل: فعل أمر- والفاعل أنت- والهمزة للاستفهام الإنكاري، «قل أندعوا» قال قتادة في الآية: خصومةً علّمها الله محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة.

لا يظهر أن مراده أن المشركين قالوا ذلك مرة واحدة لبعض المؤمنين أو لجميعهم، بل كانوا يفتنون المسلمين دائمًا ويدعونهم للعود إلى الكفر، ومنه ما رُوي من دعوة عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما لأبيه إلى الشرك؛ فنزلت الآية ردًا عليهم، فلقّنهم الله تعالى هذه الحجة المؤثرة- بما فيها من المثل الجَليّ الواضح لحالي الشرك وضلاله والتوحيد وهدايته- في سياق حجج الحق الكثيرة في هذه السورة التي نزلت دُفعةً واحدة.

والاستفهام للإنكار والتعجُّب، والمعنى: قل أندعو- متجاوزين دعاء الله القادر على استجابة دعائنا- ما لا يضرنا ولا ينفعنا

كالأصنام وسائر ما عُبد من دون الله-، ونرد على أعقابنا بالعود إلى ضلالة الشرك الفاضحة بعد إذ هدانا الله إلى الإسلام. [تفسير المنار لمحمد رشيد رضا].

وقال القاسمي في محاسن التأويل: «قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا»، أي أنعبد من دونه ما لا يقدر على نفعنا إن دعوناه ولا ضرّنا إن تركناه، ونُرَد على أعقابنا عطف على «ندعو» داخل في حكم الإنكار والنفي، أي: ونرد إلى الشرك، والتعبير عنه بالرد على الأعقاب، لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح، مع ما فيه من الإشارة إلى كون الشرك حالة قد تركت ونُبذت وراء الظهر. اهـ.

وقال السدي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد، فقال تعالى: (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) فنكون كرجل كان مع قوم على طريق، فضلَّ فحيَّرته الشياطين، وأصحابه على الطريق يدعونه: يا فلان هلم إلينا فإنا على الطريق، فيأبى. [زاد المسير لابن الجوزي].

«ونُرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله»:

قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» في قوله: «ونرد على أعقابنا» تشبيه؛ وذلك أن المردود على العقب هو أن يكون الإنسان يمشي قدمًا وهي المشية الجيدة فيرد يمشي القهقرى، وهي المشية الدنية، فاستعمل المثل بها فيمن رجع من خير إلى شر، ووقع في هذه الآية تمثيل الراجع من الهدى إلى عبادة الأصنام، وهدانا بمعنى أرشدنا.

وقال الطبري وغيره: الرد على العقب يُستعمل فيمن أمَّل أمرًا فخاب أمله، والردُّ: الإجماع إلى المكان الذي يؤتى منه، كقوله تعالى: «رُدُّوهَا عَلَيَّ» [ص:٣٣].

والعرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها: «رُدَّ على عقبيه»، وقال الطاهر بن عاشور في «التحرير والتنوير»: والأعقاب: جمع عقب وهي مؤخر القدم، وعقب كل شيء طرفه وآخره، ويقال: رجع على عقبه وعلى عقبيه ونكص على عقبيه، بمعنى رجع إلى المكان الذي جاء منه؛ لأنه كان جاعلاً إياه وراءه فرجع.

وحرف «على» فيه للاستعلاء، أي رجع على طريق جهة عقبه كما يقال: رجع وراءه، ثم استُعمل تمثيلاً سائغًا في التلبس بحالة ذميمة كان فارقها صاحبها، ثم عاد إليها وتلبس بها، وذلك أن الخارج إلى سفر أو حاجة فإنما يمشي إلى غرض يريده فهو يمشي القدمية؛ فإذا رجع قبل الوصول إلى غرضه، فقد أضاع مشيه؛ فيمثل حاله بحال من رجع على عقبيه. اهـ التحرير والتنوير.

قال الشوكاني في «فتح القدير» قال أبو عبيدة: يقال لمن رُدَّ عن حاجته ولم يظفر بها قد رُدَّ على عقبيه، وقال المبرد: تعقب بالشر بعد الخير، وأصله من المعاقبة والعقبى، وهما ما كان تاليًا للشيء واجبًا أن يتبعه، ومنه: والعاقبة للمتقين، ومنه: عقب الرجل، ومنه العقوبة لأنها تالية للذنب. [فتح القدير للشوكاني].

قوله تعالى: «بعد إذ هدانا الله» أي: للإسلام والتوحيد وأنقذنا من عبادة الأصنام فنصير كالمستمر على الضلال، بل كالذي استهوته الشياطين أي: استمالته عن الطريق الواضح.

قوله تعالى: «كالذي استهوته الشياطين في الأرض». قال ابن قتيبة في «غريب القرآن» أي: هوت به، وذهب حيران، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا، يقولون له: ائتنا؛ نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، وأصحابه: أبوه وأمه.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»: ومعنى «استهوائها» قولان: أحدهما: أنها هوت به وذهبت. قاله ابن قتيبة، وقال أبو عبيدة: تُشبِّه له الشياطين فيتبعها حتى تهوى به في الأرض فتضله، والثاني: زيّنت له هواه، قاله الزجاج.

والكاف في «كالذي» إما نعت مصدر محذوف، أي نرد على أعقابنا ردًا كالذي، أو في محل نصب على الحال من فاعل نرد: أي نرد حال كوننا مشبهين للذي استهوته الشياطين أي ذهبت به مردة الجن بعد أن كان من بني الإنسان. اهـ. ابن الجوزي.

قوله تعالى: «حيران» حالٌ: أي حال كونه متحيرًا تائها حيرةً وحيرورةً إذا تردد وسمى الماء المستنقع الذي لا منفذ له حائرًا.

قوله: «له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا»:

قال الشوكاني في «فتح القدير» صفة لحيران، أو حاليَّةٌ أي له رُفقةٌ يدعونه إلى الهدى يقولون ائتنا فلا يجيبهم ولا يهتدي بهديهم. اهـ.

قوله تعالى: «قل إن هدى الله هو الهدى»:

قال ابن الجوزي: هذا ردٌّ على من دعا إلى عبادة الأصنام وزجرٌ عن إجابته، كأنه قيل له: لا تفعل ذلك؛ لأن هدى الله هو الهدى لا هدى غيره.

وقال الشوكاني في فتح القدير: أمره الله سبحانه بأن يقول لهم: إن هدى الله أي دينه الذي ارتضاه لعباده هو الهدى وما عداه باطلٌ، ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه.

قوله تعالى: «وأمرنا لنسلم لرب العالمين»:

«وأمرنا» معطوف على الجملة الاسمية: أي من جُملة ما أمره الله بأن يقوله، واللام هي لنسلم هي لام العلة، والمعلل هو الأمر أي: أمرنا لأجل أن نسلم لرب العالمين.

وقال الفراء: المعنى أمرنا بأن نسلم لأن العرب تقول أمرتك لتذهب، وبأن تذهب. [فتح القدير للشوكاني].

فوائد الآية:

١- إنَّ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى تَحَوُّلٌ وَارْتِدَادٌ مِنْ دُعَاءِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي يَكْشِفُ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ - إِلَى دُعَاءِ الْعَاجِزِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْعٍ وَلَا ضُرٍّ.

٢- إِنَّ دُعَاء غير الله نُكُوصٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَتَقَهْقُرٌ إِلَى الْوَرَاءِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ رُجُوعُ الْهَزِيمَةِ أَوِ الْخَيْبَةِ وَالْعَجْزِ عَنِ السَّيْرِ الْمَحْمُودِ، ثُمَّ صَارَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ تَحَوُّلٍ مَذْمُومٍ.

٣- التَّعْبِيرُ بـ(نُرَدُّ) الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ بَدَلَ التَّعْبِيرِ بـ «نَرْتَدُّ» أَوْ «نَرْجِعُ»، وَالنُّكْتَةُ فِيهِ أَنَّ هَذَا التَّحَوُّلَ الْمَذْمُومَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَقَعَ مِنْ عَاقِلٍ؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَرْتَبَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْكَمَالِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَارُ الرُّجُوعَ عَنْهَا، وَاسْتِبْدَالَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَأَعْلَى، فَإِذَا كَانَتْ فِطْرَتُهُ وَعَقْلُهُ يَأْبَيَانِ عَلَيْهِ هَذِهِ الرِّدَّةَ وَالنُّكُوصَ، فَكَيْفَ يُرَدُّ وَهُوَ لَا يَرْتَدُّ؟

٤- إِنَّ مَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ الْقَدِيرُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطِ السَّعَادَةِ بِمَا أَرَاهُ مِنْ آيَاتٍ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، وَمَا شَرَحَ بِهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُضِلَّهُ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُ اللهُ؟ «وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ» (الزمر: ٣٧).

٥- الْمَثَلُ الَّذِي يُصَوِّرُ الْمُرْتَدَّ فِي أَقْبَحِ حَالَةٍ كَانَتْ تَتَصَوَّرُهَا الْعَرَبُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا) قَرَأَ حَمْزَةُ « اسْتَهْوَاهُ » بِأَلِفٍ مُمَالَةٍ، وَكَانُوا يَرْسُمُونَهَا يَاءً كَأَصْلِهَا وَإِنْ تَكُنْ طَرَفًا، وَرَسْمُهَا فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ هَكَذَا (اسْتَهْوَتْهُ) وَهُوَ يَحْتَمِلُ الْقِرَاءَتَيْنِ. وَتَقْدِيرُ التَّشْبِيهِ فِي الْكَلَامِ أَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ تِلْكَ الْهِدَايَةِ مِثْلَ رَدِّ الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ، أَوْ مُشَبَّهِينَ بِالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ - إلَخْ!. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ: ذَهَبَتْ بِهَوَاهُ وَعَقْلِهِ، وَقِيلَ: اسْتَهَامَتْهُ وَحَيَّرَتْهُ. وَقِيلَ: زَيَّنَتْ لَهُ هَوَاهُ.

٦- الْيَقِينُ بِأَنَّ هُدَى اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ آيَاتِهِ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ - هُوَ الْهُدَى الْحَقُّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، لَا مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْوَائِكُمْ اتِّبَاعًا لِمَا أَلْفَيْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ، وَهَذَا الْهُدَى الْمَعْقُولُ هُوَ الَّذِي دُعِينَا إِلَيْهِ فَأَجَبْنَا، وَأُمِرْنَا بِهِ فَأَطَعْنَا، (وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فَأَسْلَمْنَا.

٧- تعلق هذه الآية بما بعدها وهي قوله تعالى: «وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ» أَيْ: أُمِرْنَا بِأَنْ نُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبِأَنْ أَقِيمُوا الصلاة وَاتَّقُوهُ، أَيْ قِيلَ لَنَا ذَلِكَ، وَقَدَّرَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا بِالْإِسْلَامِ وَبِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالتَّقْوَى، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ: الْإِتْيَانُ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شُرِعَتْ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ كَوْنُهَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَتُزَكِّي النَّفْسَ بِمُنَاجَاةِ اللهِ وَذِكْرِهِ (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ).

وَالتَّقْوَى: اتِّقَاءُ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى مُخَالَفَةِ دِينِ اللهِ وَشَرْعِهِ وَتَنَكُّبِ سُنَنِهِ فِي خَلْقِهِ مِنْ ضَرَرٍ وَفَسَادٍ، فَهَذَا أَوْسَعُ مَعْنًى مِنْ تَفْسِيرِهَا بِامْتِثَالِ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ.

٨- ثم خَتمت هَذه الآية وهذا المثال بختامٍ رائع في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أَيْ: تُجْمَعُونَ وَتُسَاقُونَ إِلَى لِقَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ غَيْرِهِ، فَيُحَاسِبُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا. وَإِذَا كَانَ الْحَشْرُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَالْجَزَاءُ بِيَدِهِ وَحْدَهُ، فَمِنَ الْجُنُونِ أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُهُ وَيُدْعَى، أَوْ يُخَافَ أَوْ يُرْجَى.

والفوائد مستفادة من تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله (٧/ ٤٤٠ - ٤٤٢)، مع تصرف يسير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحكام الصلاة

الحلقة الخامسة

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

قراءة القرآن بعد الفاتحة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوافل؛ لنستخلص مما ذكرناه الهدي العام لقراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة، ونكمل في هذا العدد بعض الأحكام العامة المستفادة من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة بأدلتها التفصيلية.

إعداد/ حمدي طه

هل يجوز قراءة أكثر من سورة في الركعة الواحدة؟

- ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الجمع بين السّورتين في الرّكعة الواحدة.

وفرّق الحنابلة بين النّافلة والفريضة في الجمع بين السّور في الرّكعة الواحدة فقالوا: لا بأس أن يكون في النّوافل لما ثبت في الرّوايات حيث إنّها كانت في النّافلة، كقيام اللّيل وغيره، واستحبّوا في الفريضة أن يقتصر على سورة بعد الفاتحة؛ لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم - هكذا كان يصلّي أكثر صلاته، وهي رواية عندهم، وأمّا الرّواية الأخرى فهي كمذهب المالكيّة وهي الكراهية «لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم أمر معاذاً أن يقرأ بسورة في صلاته». ولقول عبد اللّه بن عمر - رضي الله عنهما - عندما قال له رجل: إنّي قرأت المفصّل في ركعة قال: إنّ اللّه تعالى لو شاء لأنزله جملةً واحدةً، ولكن فصّله، لتُعْطَى كلّ سورة حظّها من الرّكوع والسّجود.(الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٥/٢٩٠).

والمفصل يبدأ من سورة ق أو الحجرات إلى الناس.

قلت: والأصح أن الأمر مُسْتَوٍ في الفرض والنفل؛ لأن القاعدة أن ما ثبت في النّفل ثبت في الفرض، ولقد بوّب الإمام البخاري على جواز ذلك بقوله: باب الجَمْعِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فِي الرَّكْعَةِ وذكر حديث أنس معلقا مجزوماً به فقال: وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ بِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى؛ فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى. فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: يَا فُلَانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ. قال الألباني في صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ١٠٤: وقد وصله الترمذي (٢/١٤٨)، والبيهقي (٢/٦٠ - ٦١) وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب»، قلت: وهو على شرط مسلم.

كأنهم قالوا له افعل كذا وكذا. قوله: «ما يمنعك وما يحملك» سأله عن أمرين فأجابه بقوله: إني أحبها، وهو جواب عن الثاني مستلزم للأول بانضمام شيء آخر وهو إقامة السنة المعهودة في الصلاة، فالمانع مركب من المحبة والأمر المعهود، والحامل على الفعل المحبة وحدها، ودل تبشيره له بالجنة على الرضا بفعله. (فتح الباري).

فائدة:

قال ناصر الدين بن المنير: في هذا الحديث أن المقاصد تغير أحكام الفعل؛ لأن الرجل لو قال: إن الحامل له على إعادتها أنه لا يحفظ غيرها لأمكن أن يأمره بحفظ غيرها، لكنه اعتل بحبها فظهرت صحة قصده فصوّبه. قال: وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه والاستكثار منه، ولا يُعد ذلك هجرانًا لغيره». (فتح الباري).

قلت: وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أقر هذا الفعل ليفيد الجواز، لكنها ليست سنة تلتزم وإنما هي فقط جائزة لمن فعلها.

ومما يدل علي صحة الجمع بين السورتين حديث ابن مسعود عن عمرو بن مرة أنه سمع أبا وائل يحدث أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود فقال: إني قرأت المفصل الليلة كله في ركعة. فقال عبدالله هذا كهذ الشعر؟! فقال عبدالله: لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن، قال: فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين سورتين في كل ركعة. (متفق عليه).

وفي رواية الإمام أبي داود ورد ذكر السور قال ابن مسعود: (لَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ النَّظَائِرَ السُّورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ النَّجْمَ وَالرَّحْمَنَ فِي رَكْعَةٍ، وَاقْتَرَبَتْ وَالْحَاقَّةَ فِي رَكْعَةٍ، وَالطُّورَ وَالذَّارِيَاتِ فِي رَكْعَةٍ، وَإِذَا وَقَعَتْ وَنُونَ فِي رَكْعَةٍ، وَسَأَلَ سَائِلٌ وَالنَّازِعَاتِ فِي رَكْعَةٍ، وَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ وَعَبَسَ فِي رَكْعَةٍ، وَالْمُدَّثِّرَ وَالْمُزَّمِّلَ فِي رَكْعَةٍ، وَهَلْ أَتَى وَلَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي رَكْعَةٍ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَالْمُرْسَلَاتِ فِي رَكْعَةٍ، وَالدُّخَانَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ فِي رَكْعَةٍ. قَالَ أَبُو دَاوُد: هَذَا تَأْلِيفُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. فهذا يدل على جواز أن يقرن بين السور.

قال الحافظ ابن حجر: فأما الجمع بين سورتين فظاهر من حديث ابن مسعود، ومن حديث أنس أيضًا، وهذا الحديث أول حديث موصول أورده في هذا الباب، فلهذا صدر الترجمة بما دل عليه، وفيه

وللحديث شاهد من حديث عائشة؛ قالت:كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرن بين السورتين من المفصل. (رواه أحمد (٦/٢١٨)، وأبو داود (١/٢٠٣)).

واستدلوا على ذلك أيضًا بما ثبت عن حذيفة رضي الله عنه قال: «إنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم – قرأ في ركعة سورة البقرة والنساء وآل عمران» (رواه مسلم والنسائي).

وعلي ذلك فالراجح ما ذهب إليه الجمهور فيجوز للإنسان أن يجمع بين السورتين أو أكثر ولا يقتصر على سورة واحدة. (شنقيطي).

هل يجوزُ أن يقرأَ الإنسانُ بالسُّورةِ في الرَّكعتينِ بمعنى أنْ يكرِّرها مرَّتَينِ؟

ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ إِلَى أَنَّهُ لاَ بَأْسَ لِلْمُصَلِّي أَنْ يُكَرِّرَ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ الَّتِي قَرَأَهَا فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى، وَصَرَّحَ الْحَنَفِيَّةُ بِأَنَّهُ إِذَا قَرَأَ الْمُصَلِّي سُورَةً وَاحِدَةً فِي رَكْعَتَيْنِ فَالأَصَحُّ أَنَّهُ لاَ يُكْرَهُ، لَكِنْ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَل، وَلَوْ فَعَل لاَ بَأْسَ بِهِ. (موسوعة).

وقال ابن قدامة من الحنابلة: وإن قرأ في ركعة سورة ثم أعادها في الثانية فلا بأس. (المغني ١/٥٧٢).

وذهب المالكيّة إلى كراهية تكرار السّورة، وقال بعضهم: هو خلاف الأولى. فقد قال ابن عمر – رضي الله عنهما – « لكلّ سورة حظّها من الرّكوع والسّجود. (موسوعة فقه العبادات جمع وإعداد علي بن نايف الشحود).

واستدل الجمهور بحديث معاذ بن عبد الله الجهني أن رجلًا من جهينة أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح إذا زلزلت الأرض في الركعتين كلتيهما، فلا أدري أنسي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم قرأ ذلك عمدًا. (أبو داود والبيهقي بسند صحيح).

قوله (أم قرأ ذلك عمدا) تردد الصحابي في إعادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقراءة نفس السورة في الركعتين.

قلت: وجه الدلالة من الحديث تكرار النبي صلى الله عليه وسلم قراءة سورة الزلزلة في الركعتين. قال الشنقيطي: فأخذ العلماء منه دليلاً على مسألتين: المسألة الأولى: جواز تكرار السورة في الركعتين. (شرح الزاد).

وللحديث بقية إن شاء الله .

من دلائل النبوة

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟! فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَعَادَ. فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ. [سنن الترمذي ٣٦٢٨ وصححه الألباني].

من نور كتاب الله

احذر أن تتكلم في الدين بغير علم

قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ» [الحج: ٨- ٩].

واحة التوحيد

من معاني الأحاديث

(كان رسول الله يتفاءل ولا يتطير) [رواه أحمد وصححه الألباني].

قال الأزهري: الفأل فيما يحسن ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وإنما كان كذلك لأن في الرجاء للخير حُسْنَ ظنٍّ بالله، والطيرة سوءُ ظن به، والفأل أن يكون الإنسان مريضًا ويسمع آخر يقول: يا سالم. [غريب الحديث، لابن الجوزي ٢/ ١٧٣].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أَنَس قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ. [سنن الترمذي ٢١٤٠ وصححه الألباني].

من درر العلماء في آيات الصفات

قال ابن قتيبة (ت٢٧٦): وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها؛ فنؤمن بالرؤية والتجلي، وأنه يعجب، وينزل إلى السماء الدنيا، وأنه على العرش استوى، وبالنفس، واليدين؛ من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحدّ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدًا إن شاء الله تعالى. [تأويل مختلف الحديث ص ١٩٢].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«لا تغفلوا عن أول جمعة من رجب؛ فإنها ليلة تسميها الملائكة الرغائب».

قال العجلوني: من الأحاديث الموضوعة. وقال الحافظ ابن حجر: لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة. [انظر: تبيين العجب (ص٢٣)].

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدعوة إلى الخير

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ؛ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». [صحيح مسلم ٢٦٧٤].

من أقوال السلف

قال ابن سيرين: «لأن يموت الرجل جاهلاً خير له من أن يقول ما لا يعلم». [إعلام الموقعين لابن القيم ٢/٢٠٧]

عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن شيء فقال: «اختلف فيه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا أرى لي معهم قولاً. قال ابن وضاح: هذا هو الحق. [جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/٦٦].

إعداد: علاء خضر

من فضائل الصحابة

بشهادات آل البيت

قال أبو حازم المدني: ما رأيت هاشميًا أفقه من علي بن الحسين، سمعته وقد سُئل: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: «بمنزلتهما منه الساعة». [الاعتقاد للبيهقي ١/٣٦٢].

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية:

ألا إنما التّقوى هي العزّ والكرم
وحبّك للدنيا هو الذّلّ والندم
وليس على عبد تقيّ نقيصة
إذا صحّح التقوى وإن حاك أو حجم

من سير الخلفاء

هارون الرشيد

قال أبو معاوية الضرير: ما ذكرت عنده حديثًا إلا قال: صلى الله وسلم على سيدي، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى، وأكلت عنده يومًا ثم قمت لأغسل يدي فصبّ الماء عليّ، وأنا لا أراه، ثم قال: يا أبا معاوية، أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا. قال: يصبّ عليك أمير المؤمنين. قال أبو معاوية: فدعوت له، فقال: إنما أردت تعظيم العلم. [البداية والنهاية ١٠/ ٢١٥].

حكم ومواعظ

عن الفضيل بن عياض قال: «كفى بالله محبًا، وبالقرآن مؤنسًا، وبالموت واعظًا، وبخشية الله علمًا، وبالاغترار جهلاً». [شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٣٢].

أثر السياق

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال كلامنا متصلاً حول الطرق المعينة والخطوات المتبعة التي تُتَّخذ لدفع التعارض الظاهري بين النصوص، وقد ذكرنا خطوتين من خطوات دفع التعارض:

الخطوة الأولى: الجمع بين الأدلة ما أمكننا ذلك، فالعمل بالدليلين خير من إسقاط أحدهما.

الخطوة الثانية: إذا لم نستطع الجمع، ننتقل إلى النسخ، مع الأخذ في الاعتبار أن الأصل هو عدم النسخ، وأن دعوى النسخ تحتاج إلى دليل.

وبدأنا البحث في الخطوة الثالثة من خطوات دفع التعارض، ألا وهي الترجيح، فذكرنا أن الترجيح هو تقوية أحد الدليلين على الآخر، ولا يكون إلا مع وجود التعارض، ولا يُصار إليه إلا بعد عدم التمكن من الجمع بين الأدلة.

وأن محل الترجيح هو في الأدلة الظنية، وتكلمنا عن الدليل الظني والقطعي.

الترجيح إما أن يكون بين دليلين نقليين، أو بين عقليين، أو بين نقلي وعقلي.

فإن كان الترجيح بين نقليين فيكون ذلك من أربعة أوجه:

الأول: منها ما يتعلق بالسند.

الثاني: بالمتن.

الثالث: بأمر خارجي.

الرابع: الترجيح باعتبار المدلول.

وإن كان الترجيح بين عقليين فيكون من ثلاثة أوجه:

الأول: منها ما يعود إلى الأصل.

الثاني: إلى الفرع.

الثالث: إلى أمر خارج.

وإن كان الترجيح بين نقلي وعقلي فيكون ذلك بالنظر إلى الظن الأقوى بحسب ما يقع للناظر معالم أصول الفقه للجيزاني ١/٢٦٤

أولاً: التعارض بين الأدلة النقلية

وجوه الترجيح:

الترجيح له طرق متعددة، قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ): « واعلم أن التراجيح كثيرة، ومناطها: ما كان إفادته للظن أكثر فهو الأرجح، وقد تتعارض هذه المرجحات، كما في كثرة الرواة، وقوة العدالة وغيره، فيعتمد المجتهد في ذلك على ما غلب على ظنه» (البحر المحيط ٦/١٥٩).

وقد ذكر الحازمي (ت ٥٨٤ هـ) في مقدمة كتاب « الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار « أن وجوه الترجيح عددها خمسون وجهًا (الاعتبار صـ٥).

وكذلك ذكر هذا العدد ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) في مقدمته (انظر صـ ٢٨٦، ٣٩١)، وأوصلها الحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ) إلى أكثر من مائة وجه، ثم ذكرها وجهًا وجها حتى عدَّ مائة وعشرة أوجه. (انظر التقييد والإيضاح صـ٣٨٦، ٣٨٩)، وسنكتفي على ذكر بعض هذه الأوجه، مع ذكر أمثلة توضيحية لها

طرق الترجيح بين الأدلة النقلية:

وله أربعة أوجه كما سبق ذكره.

أولاً: الترجيح من جهة السند:

وله طرق منها: كثرة الرواة:

فإذا تعارض خبران ولم نستطع الجمع بينهما، رجحنا الخبر الذي رواته أكثر على الخبر الذي رواته أقل، وهذا ليس على إطلاقه، بل بضوابط قبول ورد الرواة. وذكر القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) «أن

في فهم النص

الحلقة (٦٠)

الترجيح بكثرة الرواة، هو ما ذهب إليه الجمهور. قال ابن دقيق العيد: هذا المرجح من أقوى المرجحات. وقال الكرخي: إنهما سواء. ولو تعارضت الكثرة من جانب والعدالة من جانب آخر، ففيه قولان: ترجيح الكثرة، وترجيح العدالة، فإنه رُبَّ عدل يعدل ألف رجل في الثقة، كما قيل: إن شعبة بن الحجاج كان يعدل مائتين، وقد كان الصحابة يقدمون رواية الصديق رضي الله عنه على رواية غيره. (قواعد التحديث للقاسمي ص٣١٣).

مثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا. (البخاري ح٦٣٦، ومسلم ح ٦٠٢) فقد وردت بعض روايات الحديث وفيها لفظة « فاقضوا » بدلاً من «فأتموا»

فمن العلماء من رجَّح رواية « فأتموا » بكثرة الرواة؛ قال ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ): وذكر البيهقي اختلاف الرواية، في فأتموا، و«فاقضوا » ثم قال: والذين قالوا «فأتموا »: أكثر وأحفظ وألزم لأبي هريرة، فهو أولى، وروى بإسناده إلى مسلم بن الحجاج قال: لا أعلم روى هذه اللفظة عن الزهري غير ابن عيينة «واقضوا ما فاتكم».

قال أبو داود: قال يونس والزبيدي وابن أبي ذئب وإبراهيم بن سعد ومعمر وشعيب عن الزهري «وما فاتكم فأتموا».

وقال ابن عيينة عن الزهري وحده: «فاقضوا »، وقال محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة وجعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه « فأتموا »، وابن مسعود وأبو قتادة وأنس - رضي الله عنهم - عن النبي صلى الله عليه وسلم: «فأتموا » (البدر المنير ٤/٤٠٥ - ٤٠٦).

وأشار الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) إلى إسناد الحديث، ثم قال: والحاصل أن أكثر الروايات ورد بلفظ (فأتموا)، وأقلها بلفظ (فاقضوا)، وإنما تظهر فائدة ذلك إذا جعلنا بين الإتمام والقضاء مغايرة، ثم رجح الجمع بدلاً من الترجيح، فقال: لكن إذا كان مخرج الحديث واحدًا واختلف في لفظة منه، وأمكن رد الاختلاف إلى معنى واحد، كان أولى، وهنا كذلك؛ لأن القضاء وإن كان يطلق على الفائت غالبًا، لكن يطلق على الأداء أيضًا..» (فتح الباري ٢/ ١١٩).

وإلى الجمع أيضًا قال ابن الملقن فقال: والقضاء في عرف الشرع هو الإتمام، فلا فرق إذاً بينهما، قال الله تعالى: (فإذا قضيتم مناسككم)، و(فإذا قضيتم الصلاة) (البدر المنير ٤/ ٤٠٦)

[فائدة: وطرق الترجيح من جهة السند كثيرة؛ أذكر منها من باب تمام الفائدة - دون تفصيل - لأن الأمر يطول:

١- ترجيح رواية الكبير على رواية الصغير.
٢- ترجيح رواية الفقيه على مَن ليس كذلك.
٣- ترجيح رواية الأوثق.
٤- ترجيح رواية الأحفظ.
٥- ترجيح رواية الخلفاء الأربعة أو أحد منهم.
٦- ترجيح رواية صاحب الواقعة.
٧- الترجيح بكثرة المخالطة.
٨- ترجيح رواية من ذكر سبب الحديث على مَن لم يذكر سببه.
٩- ترجيح أحاديث الصحيحين على غيرهما.
١٠- ترجيح رواية من تأخر إسلامه (انظر قواعد التحديث للقاسمي صـ ٣١٣، ٣١٤)].

ثانياً: الترجيح من جهة المتن:

وله طرق منها:

١- ترجيح النص على الظاهر:

النص (المقصود هنا المعنى الاصطلاحي الأصولي، وليس معنى النص أي الدليل من القرآن والسنة): هو كل لفظ دل على الحكم بصريحه، على وجه لا احتمال فيه، مثل قوله تعالى:« وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» (بمعنى أنه لا يحتمل إلا معنى واحدا فقط) والظاهر: هو كل لفظ احتمل أمرين، أحدهما أظهر من الآخر، كالأمر والنهي، وغيرهما من أنواع

الخطاب الموضوعة للمعاني المخصوصة المحتملة لغيرها. (انظر الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ، ١/ ٢٣٢، والمعونة في الجدل للشيرازي ت ٤٧٦هـ، صـ٢٧، وأصول الفقه للشيرازي صـ٤٨).

قلت: كدلالة الأمر على معان متعددة، منها: الوجوب، الاستحباب، الإرشاد... فدلالة الأمر المطلق على الوجوب هي الظاهرة، مع احتمال غيره إذا جاء الدليل الصارف عن الوجوب إلى غيره. وقد يعرفون الظاهر بما كانت دلالته على المعنى ظنية لا قطعية؛ تفريقًا بينه وبين النص (أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله صـ٣٩١)، (وقد سبق في المقال السابق تعريف القطعي والظني، مع ملاحظة أن التفرقة بين النص والظاهر لم يذكرها الإمام الشافعي في الرسالة كأول كتاب في أصول الفقه، لذا كان النص عنده هو الظاهر، والظاهر هو النص بلا تفرقة، لكن الأصوليين من بعده فرَّقوا بينهما، كما ذكرنا).

مثال:

قال الله تعالى: « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة» فالآية نص في أن مدة الرضاعة حولان. وقوله تعالى: «وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا» فالآية هنا ليست نصاً (بالمعنى الاصطلاحي) في تحديد مدة الرضاعة، فهي تحتمل هذا وقد لا تحتمله، وهذا ما يسمى بالظاهر. فعند التعارض فإننا نقدم الآية الأولى؛ لأنها نص في مدة الرضاعة، بينما الآية الثانية لم تقتصر على بيان مدة الرضاعة فقط، بل أُضيف إليها مدة الحمل.

٢- ترجيح الظاهر على المؤول:

الظاهر سبق تعريفه.

أما التأويل: فهو حمل معنى ظاهر للفظ على معنى محتمل مرجوح (شرح الكوكب المنير لابن النجار ت ٩٧٢هـ، ٣/ ٤٦٠).

معنى التعريف:

صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، وهذا لا يكون إلا بدليل يقتضي الصرف من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، وإلا فالأصل عدم التأويل.

مثال: عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا نكاح إلا بولي» (صحيح سنن أبي داود ح ١٨١٨)، فظاهر الحديث أن الولي شرط لصحة النكاح، والأصل في الكلام هو الحمل على الحقيقة، وبالتالي يُحمل النفي في الحديث على نفي الصحة، ولا يُصرف عنها إلا بدليل، فالنكاح بدون ولي باطل وغير صحيح؛ يقول (الخطابي ت ٣٨٨هـ): وقد تأوله بعضهم (أي: الحديث) على نفي الفضيلة والكمال، وهذا تأويل فاسد..

والنفي في المعاملات يوجب الفساد؛ لأنه ليس لها إلا جهة واحدة، وليس كالعبادات والقُرَب التي لها جهتان، من جواز ناقص وكامل.(تراجع)

وكذلك تأويل من زعم أنها ولية نفسها، وتأول معنى الحديث على أنها إذا عقدت على نفسها فقد حصل نكاحها بولي، وذلك أن الولي هو الذي يلي على غيره، ولو جاز هذا في الولاية، لجاز مثله في الشهادة فتكون هي الشاهدة على نفسها، فلما كان في الشاهد فاسداً، كان في الولي مثله. (معالم السنن ٣/ ١٩٨).

٣- ترجيح المنطوق على المفهوم:

المنطوق: هو المعنى المستفاد من اللفظ من حيث النطق به. والمفهوم: هو المعنى المستفاد من حيث السكوت اللازم للفظ؛ كقوله تعالى: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا» (النساء ١٠)، فدلالة المنطوق: حرمة أكل أموال اليتامى. ودلالة المفهوم: تحريم إحراقها وإغراقها، وكل صور إتلافها، وهذا هو المسكوت عنه في الآية، لكن استفدناه واستنبطناه من نص الآية.

والحاصل أن الألفاظ قوالب للمعاني المستفادة منها، فتارة تستفاد منها من جهة النطق تصريحاً، وتارة من جهته تلويحاً، فالأول: المنطوق، والثاني: المفهوم. (انظر شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣/ ٤٧٣، وإرشاد الفحول للشوكاني ت ١٢٥٠هـ، ٢/ ٣٦).

مثال: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: أنتوضأ من بئر بضاعة؟ وهي بئر يُطرح فيها الحِيَض ولحم الكلاب والنتن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماء طهور لا ينجِّسه شيء» (صحيح سنن الترمذي ح ٦٦).

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الماء يكون بالفلاة (الصحراء) من الأرض وما ينوبه من الدواب والسباع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بلغ الماء قلتين لم ينجسه شيء» (صحيح سنن ابن ماجه ح ٥١٧).

فوائد:

١- حديث القلتين ضعفه جماعة من أهل العلم

وصححه جماعة، قال الحافظ أبو الفضل العراقي في أماليه: قد صحح هذا الحديث الجم الغفير من أئمة الحفاظ: الشافعي وأبو عبيد وأحمد وإسحاق ويحيى بن معين، وابن خزيمة والطحاوي، وابن حبان والدارقطني، وابن منده والحاكم والخطابي والبيهقي، وابن حزم وآخرون... وقال الحافظ في فتح الباري: رواته ثقات وصححه جماعة من أهل العلم. (انظر تحقيق تحفة الأحوذي للمباركفوري ت ١٣٥٣هـ ١/ ١٨٠ - ١٨١).

٢- ورد في بعض الروايات: من قلال هجر، وقد قدر العلماء القلتين بخمس قرب (انظر معالم السنن ١/ ٣٥). لكن هذه الرواية أشار ابن عدي إلى أنها لم ترد مرفوعة إلا من طريق المغيرة بن سقلاب، وقال:لا يُتابع على عامة حديثه. وقال الحافظ في التلخيص: وهو منكر الحديث، ثم ذكر أن الحديث غير صحيح - يعني بهذه الزيادة (انظر إرواء الغليل للألباني ت ١٤٢٠هـ، ١/ ٦٠)].

فعندنا حالتان: الحالة الأولى: إذا وُجدَ ماء كثير أصابته نجاسة ولم تغيره فهو طهور وفق الحديثين؛ فالحديث الأول: منطوقه أن الماء طهور لا ينجسه شيء. والحديث الثاني: إذا زاد الماء عن قلتين لا يتنجس.

الحالة الثانية: إذا كان الماء دون قلتين وأصابته نجاسة - ولم تغير وصفاً من أوصافه الثلاثة: اللون، الطعم، الرائحة، فأيهما نقدم؟ عندنا الآن منطوق ومفهوم، المنطوق: الماء طهور لا ينجسه شيء. والمفهوم: أن الماء الأقل من قلتين يتنجس.

فنرجح هنا العمل بالمنطوق، وهو أن الماء طهور لا ينجسه شيء، رغم أنه أقل من قلتين، ولأن الماء إذا تغير بالنجاسة، فهو نجس بإجماع أهل العلم (قال ابن المنذر: أجمع العلماء على أن الماء القليل والكثير إذا وقعت فيه نجاسة فغيرت له طعمًا أولونًا أو ريحًا فهو نجس. (سبل السلام للصنعاني ت ١١٨٢هـ، ١/ ٢٥).

[فائدة: دلالة المفهوم تنقسم إلى قسمين:

١- مفهوم الموافقة، وهو ما كان حكم المسكوت عنه موافقًا لحكم المنطوق، مثال ذلك قوله تعالى عن الوالدين: «ولا تقل لهما أف» فالمنطوق تحريم التأفيف لهما، ومفهوم الموافقة - الذي لم يأت في الآية - وهو المسكوت عنه: تحريم ضرب الوالدين ونحوه من الأذى.

٢- مفهوم المخالفة: وهو ما كان حكم المسكوت عنه مخالفاً لحكم المنطوق به، كما في قوله تعالى: «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم» فمفهوم المخالفة: هو أن طعام غير الذين أوتوا الكتاب ليس بحل (انظر الإحكام للآمدي ت ٦٣١هـ، ٢/ ٢٥٧، فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين ت ١٤٢١هـ، ٦/ ٢)].

٤- ترجيح المثبت على النافي:

والمثبت هو من أثبت قولاً أو فعلاً أو راوياً أو غير ذلك في الحديث، بينما النافي ينفيه. فعند التعارض وعدم التمكن من الجمع، فإنه تُرجح رواية المثبت؛ لأن معه زيادة علم.

فمتى اجتمع خبر ناف وخبر مُثْبت، كان المثبت أولى من النافي (انظر الفصول في الأصول أبو بكر الرازي ت٣٧٠هـ، ٣/ ١٧٢، واللمع في أصول الفقه للشيرازي ت ٤٧٦هـ، ١/ ٨٥، والمعونة في الجدل للشيرازي صـ١٢٤، وروضة الناظر لابن قدامة ت٦٢٠ هـ، ١/ ٣٥٨، ٣٦٠).

مثال: هل هذا المثال صحيح؟

حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائماً فلا تصدقوه، ما كان يبول إلا قاعداً). (صحيح سنن الترمذي ح ١٢)، وحديث حذيفة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى سباطة (أرض رخوة تُلقى فيها المخلفات) قوم، فبال عليها قائماً، فأتيته بوضوء، فذهبت لأتأخر عنه، فدعاني حتى كنت عند عقبيه، فتوضأ ومسح على خفيه (صحيح سنن الترمذي ح ١٣)، فأم المؤمنين رضي الله عنها نفت لأنها لم تر النبي صلى الله عليه وسلم يبول قائمًا قط في البيوت، وأثبت حذيفة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بال قائماً، فهو معه زيادة علم، واطلع على ما لم تطلع عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. والمثبت كما هو مقرر معه زيادة علم. [من العلماء من قال بنسخ حديث عائشة رضي الله عنها بحديث حذيفة، ومنهم مَن جمع بين الحديثين بأن الغالب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قاعداً، مع جواز البول قائماً إذا احتاج إلى ذلك وأمن رشاش البول، وهذا هو الأرجح، والله أعلم] (انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ، صـ١٥٢، ١٥٣ وتحفة الأحوذي ت١٣٥٣هـ ،١/ ٥٧-٥٩).

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

هدي القرآن

الهدي القرآني في التربية

لا شك أن التربية القرآنية هي أعلى تربية وأرقاها، وقد ظهرت بركة هذه التربية في الجيل الأول الذي نزل عليه القرآن منجماً، يغرس فيهم أصول العقائد، ويعمق فيهم المعاني الإيمانية الشريفة، ويثبتهم على الإيمان، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون الآيات القرآنية بالإيمان والتصديق، ويصدرون عنها بالعمل والاستجابة والطاعة، فترقى بهم القرآن إلى أعلى درجات اليقين والصدق، والإخلاص والبذل، والتضحية والثبات، وظهرت فيهم المواقف الإيمانية والأحوال الشريفة التي تصدق ما في قلوبهم من إيمان وتصديق بالقرآن.

كتبه/ د. أحمد فريد

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمام الصحابة رضي الله عنهم قرآناً يمشي على الأرض، فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خُلقه القرآن» [صحيح مسلم ٧٤٦].

وهذه أمثلة للتربية القرآنية:

١- القرآن يُربي في قلوب الناس عقيدة التوحيد: قال الأستاذ / محمد شديد: « وقد كانت البشرية قبل القرآن متردية في حمأة الوثنية والشرك، بين عبادة أصنام بشتى الصور والأشكال، وبين دعوى البنوة لله تعالى التي كانت عند العرب في صورة بنوة الملائكة لله، وعند مشركي اليهود في صورة بنوة عزير لله، وعند مشركي النصارى في صورة بنوة عيسى لله، فجاء بها القرآن ناصعة واضحة جلية ليس فيها لبس ولا غموض، ولا تجنح إلى الأحاجي والألغاز، ولا تصطدم بمنطق أو تفكير، ولا تُحير العقول والأفهام، ولم يلجأ القرآن - قط - في إقامة الدليل عليها إلى أقضية المنطق الجافة، ولا إلى الإقناع الذهني المجرد، إنما جاء بالأدلة السهلة الواضحة، التي تخاطب العقل والقلب، وتثير التفكير والوجدان، قوية ناصعة لا تدع سبيلاً إلى جدل ولا مراء، فقرَّر الحقيقة أولاً: « قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ

يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ » (الإخلاص: ١-٤).

ثم أقام الدليل: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ» (المؤمنون: ٢١-٢٢).

وقال تعالى: « أَمِ اتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۝٢١ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ »(الأنبياء: ٢١-٢٢).

وفي موطن الرد على مشركي النصارى الذين اختلط عليهم الأمر من قبل ولادة عيسى، ذكر القرآن قصة مولده، ثم أبان أنه إذا كان وُلد بغير أب، فقد خُلق آدم من تراب بغير أب ولا أم: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ » (آل عمران: ٥٩).

ثم وجَّه إلى عدم المماراة والجدل، وسلك في سبيل الإقناع أسلوباً يستثير عوامل الخير، ويخاطب كوامن الإيمان في النفس.

قال تعالى: «فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَٰذِبِينَ » (آل عمران: ٦١).

٢- القرآن يُربي في قلوب العباد مَلَكة المراقبة والتقوى:

قال تعالى: «وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ » (الأنعام: ٥٩).

وقال تبارك وتعالى: « اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِالنَّهَارِ »(الرعد: ٨-١٠).

وقال سبحانه : « وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ » (يونس: ٦١).

فمهما استشعر قلب العبد اطلاع الله عز وجل عليه، ومراقبته لأقواله وأفعاله؛ فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة، والمعية معيتان: معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة، وهي معية لله عز وجل للخلق كلهم، ومعية خاصة بأوليائه، وهي معية التأييد والنصرة، والتسديد كما قال تعالى: « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ » (النحل: ١٢٨).

وقوله تعالى لهارون وموسى: «إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ » (طه: ٤٦).

فالمعية الأولى العامة: تستوجب الخوف والحذر والتقوى.

والمعية الثانية الخاصة: تستوجب الأنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره .

٣- القرآن يُربي المسلم على أن تكون علاقته مباشرة مع الله عز وجل فلا يحتاج إلى وسائط ولا شفعاء:

قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة: ١٨٦) .

وقال سبحانه: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ »(غافر: ٦٠) .

وقال تعالى: «أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ »(النمل: ٦٢).

فمن أراد أن يتوب ويرجع إلى الله عز وجل لا يحتاج أن يذهب إلى كاهن، أو ذي سلطان ديني حتى يرفع توبته، ولا يحتاج إلى شفعاء يشفعون له عند الله عز وجل، ومن أراد أن يسأل شيئاً فعليه أن يرفع حاجته إلى الله عز وجل مباشرة دون الرجوع إلى أحد من مخلوقاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» رواه الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني.

٤- القرآن يُربي المسلم على التفكير فيما يقع تحت حواسه من أحداث وآيات ليستدل بها على وجود الله عز وجل وقدرته وعظمته:

قال تعالى: «أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ » (الواقعة:٥٨ -٥٩).

وقال تعالى: «أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِـُٔونَ » (الواقعة: ٧١-٧٢).

وقال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ » (آل عمران: ١٩٠)،

وقال تعالى: «وَفِي الْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » (الذاريات: ٢٠ -٢١).

فالقرآن يُربي المسلم على التدبر والتفكر في مخلوقات الله عز وجل، وفيما يقع أمامه من أحداث ؛ ليستدل بها على عظمة الله وقوته، فيزداد إيماناً بالله عز وجل ووحدانيته:

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

٥- القرآن يُربي المؤمن على الثقة بنصر الله عز وجل واليقين بوعده:

قال تعالى: «وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (الأنفال: ١٠)، وقال تعالى: «وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» (الفتح:٢٢)، وقال تعالى: «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (الروم: ٤٧)، وقال تعالى: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ» (غافر:٥١)، وقال تعالى: «وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ» (الصافات:١٧٣).

كما بيّن القرآن من الذين يستحقون نصر الله فقال تعالى: «وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ» (الحج: ٤٠)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد:٧).

فالذين يستحقون نصر الله هم الذين نصروا الله بتحليل حلاله وتحريم حرامه، والإخلاص في الدعوة إلى دينه، وبذل الغالي والرخيص لإعزاز دينه، الذين يستحقون نصر الله هم الذين يحبهم الله ويحبونه، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

الذين يستحقون نصر الله الذين باعوا أنفسهم لله عز وجل ويطلبون رضا الله وجنته.

قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ» (المائدة: ٥٤)، وقال سبحانه: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ» (التوبة: ١١١).

٦- القرآن يُربي المؤمن على الاستعداد للقاء الله عز وجل، وأن كل أحد من البشر له أجَل محدود، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون: قال تعالى: «أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ» (النساء: ٧٨)

وقال تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا» (آل عمران: ١٤٥)، وقال تعالى: «قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ» (آل عمران:١٥٤).

ولما قال المنافقون بعد غزوة أحد: لو أطاعنا المؤمنون وتخلفوا معنا ما ماتوا وما قُتلوا، بيّن الله عز وجل أن هذه المقولة كُفر؛ لأن فيها إنكاراً لحقيقة الأجل الذي حدده الله عز وجل لكل واحد.

فقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»

(آل عمران: ١٥٦).

٧- القرآن يُربي المؤمن على معرفة الغاية التي خُلق من أجلها، وهي عبادة الله عز وجل، والهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه وهو رضا الله عز وجل وابتغاء وجهه:

قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ»

(الذاريات: ٥٦-٥٧).

ويبين للمسلم أن نية العبادة والطاعة ينبغي أن تصاحب المسلم في كل قول أو فعل أو حركة أو سكون.

قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ»

(الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

فكما يصلي لله عز وجل ويذبح لله عز وجل؛ فهو يأكل ليتقوى على طاعة الله، ويحتسب نومه عند الله؛ لأنه يستعين به على طاعة الله، ويتزوج ليستعين بذلك ويتقوى على طاعة الله، فهو في كل أحواله عبدٌ مطيع لله عز وجل؛ فإنه لا يقع في عبودية غير الله من الأحجار، والأشجار، والهوى والمال، والنساء، والطواغيت، فكلما اكتملت عبودية المسلم لله عز وجل تحرر من عبودية غير الله، وكلما نقصت عبوديته لله وقع في عبادة غيره، ولذلك كانت وظيفة الرسل وأتباعهم تعبيد الناس لله عز وجل، وتحريرهم من عبادة غير الله؛ فكل رسول قال لقومه: «اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»، وهذا ربعي بن عامر تلميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرستم قائد الروم: «إن الله ابتعثنا لنُخرجَ مَن شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومِن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

كما يُربي القرآن المؤمن على معرفة الهدف الذي يهدف إليه، وهو الوصول إلى رضا الله عز وجل، والفوز بجنته، والنظر إلى وجهه، وهو أعلى نعيم أهل الجنة؛ فقال تعالى: «وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ» (الليل: ١٩-٢٠).

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تعريفات أولية لمصطلحات العقيدة الإسلامية

الدرس الأول

إعداد/ د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تعريف كلمة: العقيدة:

أولاً: العقيدة لغة:

مأخوذة من الفعل: عَقَدَ، يقال: «عقَدَ قلبَه على الشيء» أو «عقَدَ قلبُه الشيءَ» إذا لزمه.

ثانيًا: العقيدة اصطلاحًا:

تُطلق وتعرف بعدة تعريفات، منها:

(أ) التصديق الجازم فيما يجب لله عز وجل من الوحدانية والربوبية، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى.

(ب) تصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به. والمطالب الإلهية المقصود بها: الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

(ج) ما عقد الإنسانُ قلبَه عليه، ودان لله -سبحانه- به.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن هذه الكلمة - العقيدة، أو الاعتقاد - أصبحت اسمَ علم على العلم الذي يدرس جوانب الإيمان والتوحيد - التي سبقت الإشارة إليها - ووجدنا كل مَن يكتب في هذا الجانب، يطلق على كتابه اسم العقيدة، فيقال مثلاً: عقيدة الطحاوي، أو العقائد العضدية... إلى آخره. وأصبحت هذه الكلمة مضافة إلى الإسلام عنوانًا على المادة الدراسية في المعاهد والكليات والمدارس، فيقال: مادة العقيدة الإسلامية.

ثالثًا: مؤلفات في العقيدة الإسلامية.

لا شك أن كل علم له رجاله الذين وضعوا فيه من المؤلفات والكتب الخاصة به. وفيما يلي أسماء بعض المؤلفات التي حملت اسم العقيدة الإسلامية، بدءًا بأقدمها وأسبقها.

الكتاب الأول: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، والتابعين من بعدهم) هذا الكتاب الكبير العظيم ألفه الإمام الحافظ هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، وقد يُعرف أحيانًا هذا الكتاب بكتاب «السنن» أو «شرح السنة» أو «أصول السنة». ويقع في ثمانية أجزاء مطبوعة، يشتمل على مقدمة ومجموعة كبيرة من الأبواب، في الحث على التمسك بالسنة، وبيان التوحيد، واعتقاد أهل السنة. كذلك يشمل أيضًا مباحث في الإيمان، وفي الرد على بعض الفِرَق، وعلامات الساعة، والفضائل. ولهذا نعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المصنفة في العقيدة، وقد استفاد منه مَن جاء بعده ونقل عنه.

الكتاب الثاني: (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني، وهو مطبوع ضمن مجموعة (الرسائل المنيرية)، ثم طُبع مستقلاً في دولة الكويت، بتحقيق الشيخ بدر البدر.

الكتاب الثالث: (الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة) للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، وهو يشتمل على بيان ما يجب للمكلف اعتقاده، والاعتراف به، مع الإشارة إلى أطراف أدلته على طريق الاختصار، وما ينبغي أن يكون شعاره على سبيل الإيجاز، وقد طبع الكتاب أكثر من مرة؛ في الهند، ومصر، وبيروت.

تعريف كلمة: «التوحيد»:

أولاً: التوحيد لغة: الإفراد.

ثانيًا: التوحيد اصطلاحًا:

أصل معنى التوحيد: اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وسُمي هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه، فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلقه الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون، ومنتهى كل قصد. وهذا المطلب في الحقيقة كان الغاية العظمى من بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- كما تشهد بذلك آيات القرآن الكريم.

ثالثًا: دَلالةُ كلمة التوحيد على العقيدة:

كلمة التوحيد - أي: شهادة أن لا إله إلا الله - تشير إلى كل جوانب العقيدة ومسائلها؛ لأنه إذا حصل الإيمان بمضمونها على وجه صحيح، استتبع ذلك - قطعًا - الإيمان بسائر العقائد من إلهيات ونبوات وسمعيات؛ فإن الوحدانية تتضمن الاعتراف بالله بأنه المعبود بحق، وهو اعتراف ضمني بأنه جامع لكل كَمال، منزه عن كل نقص؛ إذ لا يستحق العبادة، وهي نهاية التعظيم وغاية المحبة والخَشية، إلا مَن كان كذلك.

وإنما كانت العناية بذكر الوحدانية؛ لأنها كانت أهم مقاصد الرسل جميعًا لأنها هي وحدها العقيدة التي كفَرَها أكثر الناس، وهجروها، فهُم يعرفون الله تعالى بقدرته وعلمه وإرادته، وأنه خالق السموات والأرض، هذا يعرفه كثير من الناس.

وأيضًا كثير من الناس مع إيمانهم بذلك، يتخذون لله -سبحانه- الأنداد، ويشركون به، فيحبون أندادًا كحبهم لله، ويخشونهم كخشيته، وربما زاد بعضهم في أنْ أحبَّ معبودَه الذي يعبده دون الله أكثرَ من محبته لله - تبارك وتعالى.

ونحن نشاهد أن بعضًا من الناس، يتوجه إلى غير الله -سبحانه- بالدعاء، وطلب المدد، والاستغاثة، وغير ذلك.

رابعًا: مؤلفات في علم التوحيد:

هناك مؤلفات كُتبت في هذا العلم تحت مسمى علم التوحيد، نشير إلى بعضها:

الكتاب الأول: (كتاب التوحيد) لأبي العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي.

الكتاب الثاني: (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب -سبحانه- التي وصف بها نفسه في تنزيله الذي أنزله على نبيه المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وعلى لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- للإمام ابن خزيمة، وهو صاحب كتاب: (الصحيح). وقد بَحث في هذا الكتاب مباحث كثيرة في التوحيد، فتعرض لمسألة: القضاء السابق، والمقادير النافذة قبل حدوث أفعال العباد، كما تكلم وذكر وجوب الإيمان بجميع صفات الرحمن - جل في علاه-.

وهذا الكتاب كان مؤلفه - رحمه الله - يضع عنوانًا مطولاً للمسألة التي يبحثها، وكأنه ملخص لها، ثم يسوق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة عليها، ويسوق الأحاديث بإسنادها مع تعليق موجز على بعض النصوص، والرد على المخالفين من الجهمية والمعطلة والقدرية والمعتزلة.

الكتاب الثالث: (كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله -سبحانه- وصفاته على الاتفاق والتفرد) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنده (رحمه الله تبارك تعالى) وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ الدكتور علي ناصر فقيهي في ثلاثة أجزاء، وقد قسَّم المؤلف فيه التوحيد إلى أربعة أقسام - تعود إلى ثلاثة -: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وتوحيد أسماء الله الحسنى، ثم أَتْبَعها بالقسم الرابع عن الصفات، وأراد بذلك أن يوحد الله -سبحانه- في صفاته العلى.

ومن خصائص هذا الكتاب ومميزاته: الاستشهاد الكثير بالآيات القرآنية على أنواع التوحيد ومسائله، ولهذا فائدة مهمة، وهو أنه يربط القارئ بكتاب الله تعالى، فيستمد منه التوحيد مباشرة، وهذا الكتاب - في الحقيقة - كتاب جيد ونفيس، وقد اعتنَى مؤلفه فيه بذكر العقيدة الصحيحة المؤيدة بالدليل.

وهناك كتب أخرى كثيرة كتبها بعض المعاصرين عن التوحيد بأساليب متعددة، وبعضها أيضًا مفيد للغاية.

تعريف كلمة: «أصول الدين»:

أولاً: أصول الدين لغةً:

أصول الدين: مركّب إضافي، ولا يمكن التوصل إلى معنى المركّب إلا بتحليل أجزائه المركّب منها أما كلمة الأصول: فمفردها أصل، ومعناه لغةً: أساس الشيء، أو ما يُبتنَى عليه غيره، كأساس المنزل، وأصل الشجرة، ونحو ذلك

أمّا الدِّين في اللغة: فمعناه الذل والخضوع، والمراد به: دين الإسلام، وطاعة الله - تبارك وتعالى -

وعبادتـه، وتوحيـده، وامتثـال المأمـور واجتناب المحذور، وكل ما يُتعبّد الله -عز وجل- به.
فتكون أصول الدين على هذا: القواعد والأسس التـي تصحّ بهـا العبادة، وتتحقق بهـا طاعة الله ورسـوله -صلى الله عليه وسـلم-، وذلك بامتثال المأمـور واجتناب المحذور؛ لأن الاعتقاد هو الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحتها. فأصول الدين هي ما يقوم وينبني عليه الدين.
والدين الإسـلامي يقوم على عقيدة التوحيد، ومن هنا سُمي علم التوحيد أو علم العقيدة بعلم أصول الديـن؛ لأنه - كما ظهر لنا - هو الأصل والأسـاس الـذي يقـوم عليـه غيره، فهـو - حقًا - كالأسـاس للمنزل.

ثانيًا: أصول الدين اصطلاحًا:

كلمـة أصـول الديـن عنـد الفقهـاء والأصوليـين: يطلقونها على معان:
أحدهـا: الدليـل، يقـال: «الأصـل في هذه المسـألة: الكتاب والسنة».
وثانيها: القاعدة الكلية التي تشتمل على جزئيات موضوعها، كقاعدة: «لا ضرر ولا ضرار».
ثالثهـا: الراجـح -أي: الأوْلـى، والأحـرَى-، يُقال: «الأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز».
والأصـول من حيـث إنهـا مَبنًى وأسـاسٌ لفرعها سُـميت «قواعد». ومن حيث إنها مسـالك واضحة إليها سُمِّيت «مناهج». ومن حيث إنها علامات لها سُمِّيت «أعلامًا».

ثالثًا: مؤلفات في أصول الدين:

بعـد أن أصبحـت كلمـة أصـول الديـن لَقَبًـا لعلم العقيـدة، وأصبحت هـذه المادة تُـدرَّس تحت هذا العنوان، بل إن البعض توسع، فأدخل في الكليات الجامعيـة لأصول الدين كلمـة «أصول الدين» على العقيـدة، بـل إن الكليـات اليـوم فـي الجامعـات الإسـلامية، تحمـل هذا الاسـم. فنقول مثـلًا: كلية أصـول الديـن، أو كليـة الدعـوة وأصـول الديـن. وهكذا. ويقال: إن أول من اسـتخدم هذا المصطلح لعلـم العقيدة - وإن لم يشـتهر وقتها - هو الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - حيث قال في مفتتح كتابـه: (الفقه الأكبـر): هذا كتاب ذكرنا فيه ظواهر المسـائل في «أصول الديـن» التي لا بد للمكلف من معرفتهـا، والوقـوف عليهـا. فنجد هنـا أن الإمام الشـافعي - رحمـه اللـه تعالـى - ذكر هـذه الكلمة وهو يتكلم عن الفقه الأكبر.
ولا شـك أننـا سـنعرف - إن شـاء اللـه - أن الفقه الأكبر هو علم التوحيد أو هو علم العقيدة.
ثم وصلتنا بعد ذلك كتبُ تحمل هذا الاسـم، وفيما يلي إشارة إلى بعضها:
الكتـاب الأول: (الإبانـة عن أصـول الديانة) للإمام أبي الحسـن الأشـعري - رحمه اللـه تعالى- وهو كتاب متوسـط الحجم، يتضمن أصول عقيدة أهل السـنة والجماعة، ويـرد فيه على الفـرق المخالفة كالمعتزلـة والجهميـة والرافضة، وقد اسـتدل فيه بأدلـة قوية صحيحة ظاهرة من كتـاب الله تعالى الـذي لا يأتيـه الباطل من بين يديـه ولا من خلفه، كمـا اسـتدل بأحاديث عن النبي -صلـى الله عليه وسلم-.
والمؤلف - رحمه الله تعالى - كان يسـتدل على ما يَذكر بأدلة صحيحة، وبأحاديث صحيحة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما أن أهمية هذا الكتاب تظهـر من جانب آخـر، ألا وهو جانـب مؤلف هذا الكتـاب؛ فمؤلف هذا الكتاب هو الإمام الأشـعري، وقـد كان معتزليًـا، ثـم تـرك الاعتزال عنـد بلوغه سـن الأربعين، ومال إلى طريقة عبد الله بن سعيد بـن كُلاب القطـان الذي كان يثبـت بعض الصفات وينفـي بعضهـا، ثم بعد ذلك وبعـد أن دخل بغداد والتقى بتلاميذ الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - وأخذ عنهم المعتقد الصحيح لأهل السـنة والجماعة، وقال بعقيدة السـلف، ونص في مقدمة كتابـ هـذا: (الإبانة) على أنه يعتقـد معتقد الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالـى -.
الكتاب الثاني: (الشـرح والإبانة عن أصول السنة والديانـة) لأبـي عبد اللـه عبيد الله بـن محمد بن بطـة العُكبري، وهذا الكتاب يعرف باسـم (الإبانة الصغرى).

تعريف كلمة: «السنة»:

أولًا: السنة لغة:

هي الطريقة المسلوكة؛ محمودةً كانت أو مذمومةً.
والسنة أيضًا: هي العادة. قال تعالى: «سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَـلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُـلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً» [الإسـراء: ٧٧]. أي: هكـذا عادتنا فـي الذين كفروا برسلنا، وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم، يأتيهم العذاب.

ثانيًا: السنة اصطلاحًا:

السنة في الشرع تطلق على معان. منها: الشريعة، وبهذا المعنى جاء قولهم: «الأولى بالإمامة الأعلم بالسنة» أي: بأحكام الشرع.

وأيضًا من إطلاقاتها: الطريقة المسلوكة في الدين، فتنتظم المستحب والمباح، بل الواجب والفرض أيضًا.

وعرفًا عند الفقهاء: تقيد بأنها الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب، والمراد بالطريقة المسلوكة في الدين: ما سلكها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وغيره ممن هم علم في الدين، كأصحابه لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ» [صححه الألباني بهذا اللفظ في العقيدة الطحاوية ص٤٣٠].

وكذلك يطلق لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، سواء عثرنا عليه أو لم نعثر عليه فيها؛ لكونه اتباعًا لسنة ثبتت عندهم، وأخذًا وعملاً بالحديث السابق: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» [سنن الترمذي ٢٦٧٦ وصححه الألباني]؛ وذلك ولا شك فيما لا يتعارض في شيء مما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وتطلق السنة عند علماء أصول الفقه: على ما صدر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير، وهي هنا تعتبر مصدرًا من مصادر التشريع كالقرآن الكريم.

أما علماء الحديث فيريدون بالسنة: ما نقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة مطلقًا، وهي بهذا مرادفة لمعنى الحديث.

ثالثًا: المؤلفات في الاعتقاد تحت اسم «السنة»:

والمصنفات التي حملت اسم السنة كثيرة، وهي - في الحقيقة - مصنفات في مسائل العقيدة والتوحيد. العلماء - قديمًا - أطلقوا اسم السنة على الاعتقاد؛ لأنه يشيع بين الناس في مثل هذه الأزمان المتأخرة التعريف الفقهي للسنة: وهو أن السنة يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها، فإذا طبق أحد هذا التعريف على مسائل الاعتقاد، لا شك أنه يكون قد وقع في خطر عظيم:

الكتاب الأول: (السنةً) لابن أبي شيبة، وهو أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (رحمه الله تبارك تعالى).

الكتاب الثاني: (كتاب السنة) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، إمام أهل السنة والجماعة (رحمه الله تبارك تعالى).

الكتاب الثالث: (كتاب السنة) للأثرم، وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ البغدادي، وهو تلميذ الإمام أحمد (رحمه الله تبارك تعالى) وغيرها كثير.

رابعًا: منهج المصنِّفين في السنة:

إن المنهج الذي سلكه المصنِّفون في السنة، يكاد يكون منهجًا متشابهًا، يتلخص في أنه يترجم للباب، ثم يسوق جملة من الأحاديث والآثار التي تتناسب معه، وقد يروي هذه الأحاديث من طرق متعددة، وقد يتكلم بعضهم على الروايات وينقدها، وغالبًا ما نجد العناوين وفيها إشارة إلى الرد على الفرق المخالفة، بل نجد ذلك صراحة أيضًا وأثناء الرد والمناقشة، تتضح الفكرة التي عقد المصنف الباب من أجلها.

فالمؤلف حين يرد ويناقش، إنما هو في الحقيقة يريد أن يؤصل للعقيدة الصحيحة التي سيذكرها، ولم يكن فيما يبدو من منهجهم أن يتحروا جمع الأحاديث الصحيحة في المسألة، وإنما يجمعون الروايات التي وصلت إليهم في المسألة، ولهذا وقع في بعض هذه المصنفات أو في كثير منها بعض الأحاديث الضعيفة، ويمكن أن نقول أيضًا: وقع فيها بعض الأحاديث الموضوعة.

وهذا في الحقيقة مأخذ على هؤلاء العلماء (رحمهم الله تبارك تعالى) وكان الأولى والأحرى أن لا يذكروا في كتبهم إلا ما صحت نسبته إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنها مسألة دين وعقيدة، يجب أن يعقد الإنسان عليها قلبه، وأن يعتقد وجه الحق فيها لله - تبارك وتعالى- وبعض أهل العلم يلتمس لهؤلاء الأئمة الأعلام بعض الأعذار في ذلك. فيقول: إن الأحاديث التي ذكروها، إنما هم في الحقيقة ذكروها بالإسناد، ويقولون: بأن من أسند فقد برئ من العهدة.

ومما هو جدير بالذكر أن أئمة أهل العلم المتعمقين في علم العقيدة، لا يقبلون مثل هذه النصوص التي لا تثبت، أو لا تصح نسبتها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.



أَوْغِلُوا فِي الدِّينِ بِرِفْقٍ

الإسلام دين وسط (٣)

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد فهذه هي الحلقة الثالثة من حديثنا عن وسطية هذا الدين، وقد أسسنا الحديث في الوسطية على سلوك رسولنا صلى الله عليه وسلم الوَسَطي في كل جوانب هذا الدين، وذكرنا مثالاً من هديه صلى الله عليه وسلم في قبول اجتهاد أصحابه وإن تعارض، ما دام الجميع قد اجتهد بعلم وبأسس شرعية ولم يعنف صلى الله عليه وسلم أحدًا منهم، ونكمل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١- الوسطية في أخذ هذا الدين:

عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلوا فِيهِ بِرِفْقٍ». [والحديث حسن بشواهده في مسند أحمدَ ٢٠/ ٣٤٧، بتعليق: شعيب الأرناؤوط].

يريد: سِر فيه برفق، وابلُغ الغاية القصوى منه بالرفق، لا على سبيل التهافت، ولا تكلف نفسك ما لا تطيقه، فتعجز وتترك الدين والعمل.

وعن أنس بن مالك أيضًا رضي الله عنه قال:» دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين (عمودين)، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت (يعني: إذا تعبَتْ من طول القيام بالليل)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، حلُّوه؛ ليُصَلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد».

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا». [صحيح البخاري ٢/ ٥٤]. (عليكم ما تطيقون) أي: الزموا من الأعمال ما تستطيعونه دون مشقة. فإن الله (لا يمل حتى تملوا)، يعني لا يترك إثابتكم حتى تتركوا العمل، والإفراط في العمل ربما أدى إلى تركه].

وفِي الزُّهْد لِابْنِ الْمُبَارَك مِنْ حَدِيث عَبْد اللَّه بْن عَمْرو مَوْقُوف: إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ وَلَا تُبْغِضُوا إِلَى أَنْفُسكُمْ عِبَادَة اللَّه؛ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى، وَالْمُنْبَتّ: هو الْمُنْقَطِعُ الَّذِي عَطِبَ مَرْكُوبُهُ ودَابَّتُهُ مِنْ شِدَّة السَّيْر، مَأْخُوذٌ مِنَ الْبَتّ وَهُوَ الْقَطْعُ، أَيْ صَارَ مُنْقَطِعًا لَمْ يَصِلْ إِلَى مَقْصُوده وَفَقَدَ مَرْكُوبَهُ الَّذِي كَانَ يُوَصِّلُهُ لَوْ رَفَقَ بِه. وَقَوْلُهُ: أَوْغِلوا؛ مِنَ الْوُغُولِ، وَهُوَ الدُّخُول فِي الشَّيْء. [فتح الباري لابن حجر ١١/ ٢٩٧].

وعن ابن الأدرع رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَحْرُسُ

النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَة، فَخَرَجَ لِبَعْضِ حَاجَتِه، قَالَ: فَرَآنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا، فَمَرَرْنَا عَلَى رَجُلٍ يُصَلِّي يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «عَسَى أَنْ يَكُونَ مُرَائِيًا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُصَلِّي يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ، قَالَ: فَرَفَضَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا هَذَا الْأَمْرَ بِالْمُغَالَبَةِ». [أخرجه أحمد ٣١/٣٠٦، وقال الألباني](حسن) انظر حديث رقم: ٢٣١١ في صحيح الجامع].

والمراد أمر الدين، فإن الدين متين لا يغالبه أحد إلا غلبه فأوغلوا فيه برفق.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: جَمَعْتُ الْقُرْآنَ فَقَرَأْتُهُ كُلَّهُ فِي لَيْلَة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ، وَأَنْ تَمَلَّ، فَاقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ». فَقُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي عَشَرَةٍ» قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ» قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي فَأَبَى. [سنن ابن ماجه ١/ ٤٢٨].وصححه الألباني.

. قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: بَلَغَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَنِّي أَصُومُ أَسْرُدُ، وَأُصَلِّي اللَّيْلَ. قَالَ: فَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ، وَإِمَّا لَقِيتُهُ، فَقَالَ: « أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ وَلَا تُفْطِرُ، وَتُصَلِّي اللَّيْلَ؟ فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لِعَيْنِكَ حَظًّا، وَلِنَفْسِكَ حَظًّا، وَلِأَهْلِكَ حَظًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ مِنْ كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، وَلَكَ أَجْرُ تِسْعَةٍ »، قَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: « فَصُمْ صِيَامَ دَاوُدَ »، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ دَاوُدُ يَصُومُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: « كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى »، قَالَ: مَنْ لِي بِهَذِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ - قَالَ عَطَاءٌ: فَلَا أَدْرِي كَيْفَ ذَكَرَ صِيَامَ الْأَبَدِ -، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: « لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ » قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَرَوْحٌ: « لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ » مَرَّتَيْنِ. [مسند أحمد ١١/ ٤٦١].وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

قال النووي رحمه الله: وَفِي الْحَدِيثِ (يعني: حديث «عليكم من الأعمال ما تطيقون») كَمَالُ شفقته صلى الله عليه وسلم وَرَأْفَته بِأُمَّته لِأَنَّهُ أَرْشَدَهُمْ إِلَى مَا يُصْلِحُهُمْ وَهُوَ مَا يُمْكِنُهُمُ الدَّوَامُ عَلَيْهِ بِلَا مَشَقَّةٍ وَلَا ضَرَرٍ فَتَكُونُ النَّفْسُ أَنْشَطَ وَالْقَلْبُ مُنْشَرِحًا فَتَتِمُّ الْعِبَادَةُ؛ بِخِلَافِ مَنْ تَعَاطَى مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَشُقُّ فَإِنَّهُ بِصَدَدِ أَنْ يَتْرُكَهُ أَوْ بَعْضَهُ أَوْ يَفْعَلَهُ بِكُلْفَةٍ وَبِغَيْرِ انْشِرَاحِ الْقَلْبِ فَيَفُوتُهُ خَيْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنِ اعْتَادَ عِبَادَةً ثُمَّ أَفْرَطَ فَقَالَ تَعَالَى: » وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا».سورة الحديد. وَقَدْ نَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَلَى تَرْكِهِ قَبُولَ رُخْصَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي تَخْفِيفِ الْعِبَادَةِ وَمُجَانَبَةِ التَّشْدِيدِ... وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ. وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ وَأَنَّ قَلِيلَهُ الدَّائِمَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْقَطِعُ، وَإِنَّمَا كَانَ الْقَلِيلُ الدَّائِمُ خَيْرًا مِنَ الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ لِأَنَّ بِدَوَامِ الْقَلِيلِ تَدُومُ الطَّاعَةُ وَالذِّكْرُ وَالْمُرَاقَبَةُ وَالنِّيَّةُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُثْمِرُ الْقَلِيلُ الدَّائِمُ بِحَيْثُ يَزِيدُ عَلَى الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً. [شرح النووي على مسلم ٦/ ٧١].

٢ـ الوسطية في تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم

إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ركن أصيل من أركان الإيمان، وإن الله افترض على العباد طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ومحبته وتوقيره والقيام بحقوقه. وسد الطريق إلى جنته فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره.

فقام المسلمون بأداء ما افترضه الله عليهم من محبة نبيه وتوقيره وإكرامه وبره واتباعه وطاعته حق قيام، وظهر من حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جعلهم يفدونه بكل عزيز وغال، ويؤثرونه على الأهل والأوطان والأموال، حتى باعوا أنفسهم وأموالهم لرب العالمين. نصرة لدينه، ودفاعا عن نبيه صلى الله عليه وسلم، ونشرا لهذا الدين في العالمين، فرضي الله عنهم أجمعين.

حتى إذا دب الضعف في هذه الأمة، أدركتها سنة الله في الأمم، فغلوا كثير منهم وبالغوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخرجوه من نطاق البشرية إلى مرتبة الألوهية، وزعموا أنهم بذلك يريدون إظهار حبه وتعظيمه، وأوهموا المخدوعين بهم أنهم أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم حبا له.

حتى قال قائلهم: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

وإن من جودك الدنيا وضرتها

وإن من علمك علم اللوح والقلم

ولقد منع النبي صلى الله عليه وسلم خيار أصحابه - وهم كانوا على الجادة - من الغلو فيه والمبالغة في حقه، فأولى بالقرون المتأخرة عن زمن نزول الوحي والصحبة الشريفة أن يعوا هذه الحقيقة ويدركوا التعامل الصحيح مع صاحب الرسالة، خير البرية وأزكى البشرية، رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن جابر رضي الله عنه أَنَّ نَاضِحًا (هو البعير) لِبَعْضِ بَنِي سلمة اغْتَلَمَ (هاج)، وَكَانَ يُنْضَحُ (يُسْقَى) عَلَيْهِ، فَصَالَ عَلَيْهِمْ وَامْتَنَعَ مِنْهُمْ حَتَّى عَطِشَ نَخْلُهُ، فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاشْتَكَى ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «انْطَلِقْ»

فَذَهَبَ فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَعَهُ فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ النَّخْلِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَدْخُلْ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «ادْخُلُوا وَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ» فَلَمَّا رَآهُ الْجَمَلُ أَقْبَلَ يَمْشِي وَاضِعًا رَأْسَهُ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَجَدَ، فَقَالَ النَّبِيُّصلى الله عليه وسلم: «ائْتُوا جَمَلَكُمْ فَاخْطِمُوهُ وَارْتَحِلُوهُ» فَأَتَوْهُ فَخَطَمُوهُ وَارْتَحَلُوا، فَقَالُوا: نَسْجُدُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَا تَقُولُوا ذَلِكَ، لَا تَقُولُوا لِي مَا لَمْ أَبْلُغْ، فَلَعَمْرِي مَا سَجَدَ لِي وَلَكِنَّ اللَّهَ سَخَّرَهُ لِي».أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨/٦).قال الألباني: ورجال إسناده كلهم ثقات، فهو إسناد جيد.[سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧/ ١٤٣٩].

فقول النبي صلى الله عليه وسلم:« لا تقولوا لي ما لم أبلغ»، يعني أنه صلى الله عليه وسلم لا يبلغ أن يسجد الناس له، بل السجود لله المعبود، فلا ينبغي أن يُرفع أي بشر إلى ما لم يبلغه.

. وعن قيس بن سعد رضي الله عنه قال: أتيتُ الحِيرَةَ (بلد من بلاد العراق)، فرأيتهم يسجدون لمرْزُبَانٍ لهم، فقلت: رسولُ الله أحق أن يُسجَدَ له! قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني أتيت الحيرَةَ، فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله! أحقُّ أن نسجد لك! قال:» أرأيت لو مَرَرْتَ بقبري؛ أكنت تسجد له؟ «. قال: قلت: لا. قال:» فلا تفعلوا! لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد؛ لأمرت النساء أن يَسْجدْنَ لأزواجهن؛ لما جعل الله لهم عَلَيْهِنَّ من الحق «.(قال الألباني رحمه الله: حديث صحيح؛ إلا جملةَ القبر، وقال الحاكم: « صحيح الإسناد «.[صحيح أبي داود - الأم ٦/ ٣٥٧]. والمَرْزُبَان: هُوَ الفارسُ الشجاعُ المُقَدَّم عَلَى الْقَوْمِ دُونَ المَلِك. وَهُوَ مُعَرَّبٌ[النهاية في غريب الحديث وَالأثر ٤/ ٣١٨].

٣- التوسط في الحب والكراهية

ومما يدل دلالة عظيمة على وسطية هذا الدين، ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم بألا يكون الإنسان عنيفًا في حبه إذا أحب، ولا في كراهيته إذا هو كره، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا قَالَ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا». [سنن الترمذي ت شاكر ٤/ ٣٦٠] وصححه الألباني.

ولذلك جاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:«لَا يَجْلِدْ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ». وَفِي رِوَايَةٍ «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا فِي آخِرِ يَوْمِهِ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ فَقَالَ: لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لَا يَضْرِبْ أَحَدُكم (امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ): أَيْ ضَرْبًا شَدِيدًا (ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ): قَالَ الطِّيبِيُّ: ثُمَّ لِلِاسْتِبْعَادِ، أَيْ مُسْتَبْعَدٌ مِنَ الْعَاقِلِ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ مِنَ الضَّرْبِ الْمُبَرِّحِ وَالْمُضَاجَعَةِ. اهـ. وَلِذَا وَرَدَ أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا. قَالَ الطيبي:وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ ضَرْبِ الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ لِلتَّأْدِيبِ إِذَا لَمْ يَتَأَدَّبُوا بِالْكَلَامِ الْغَلِيظِ، لَكِنَّ الْعَفْوَ أَوْلَى، وَفِيهِ حُسْنُ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ النِّسَاءِ وَالرِّفْقِ بِهِنَّ. «ثُمَّ وَعَظَهُمْ مِنَ الضَّرْطَةِ فَقَالَ: لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟». وَفِي نُسْخَةٍ: «مِمَّا يَفْعَلُهُ» هُوَ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الضَّحِكَ لَا يَحْسُنُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ غَرِيبٍ، وَشَأْنٍ عَجِيبٍ لَا يُوجَدُ عَادَةً. فَفِي الْحَدِيثِ نَدْبُ التَّغَافُلِ عَنْ ضَرْطَةِ الْغَيْرِ؛ لِئَلَّا يَتَأَذَّى فَاعِلُهَا.

وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ حَاتِمًا لَمْ يَكُنْ أَصَمَّ، وَإِنَّمَا سَأَلَتْهُ امْرَأَةٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَفِي أَثْنَاءِ الْمَسْأَلَةِ حَصَلَ مِنْهَا ضَرْطَةٌ، فَقَالَ ارْفَعِي صَوْتَكِ دَفْعًا لِخَجَالَتِهَا، فَحَسِبَتْ أَنَّهُ أَصَمُّ فَفَرِحَتْ. قَالَ الطِّيبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: فِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْعَاقِلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعِيبَ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ شَيْئًا أَنْ يَنْظُرَ فِي نَفْسِهِ أَوَّلًا هَلْ هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ أَوْ مُلْتَبِسٌ بِهِ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَرِيئًا، فَلَأَنْ يُمْسِكَ عَنْهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَعِيبَهُ. [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ٢١١٩].

ويقال هذا الكلام وأشباهه للأزواج المتشاكسين، إذا غضبت المرأة وذهبت إلى بيت أهلها فضحت زوجها وقالت فيه كل نقيصة، وكذلك يفعل زوجها، ونعوذ بالله من سوء الأخلاق وفساد الطِّبَاع.

ولذلك نبه الرسول صلى الله عليه وسلم النساء أيضًا على ما يعتريهن من العيوب فقال:» «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ:» يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ «. [صحيح البخاري ١/ ١٥]عن ابن عباس.

فاحذر أخي الإسراف في الحب أو البغض؛» إذ رُبمَا انْقَلب ذَلِك الحب بتغيير الزَّمَان وَالْأَحْوَال بُغضًا؛ فَلَا تكون قد أسرفت فِي حبه فتندم عَلَيْهِ إِذا أبغضته، أَو يَنْقَلِب الْبغض حبًا فَلَا تكون أسرفت فِي بغضه فتستحي مِنْهُ إِذا أحببته». [التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٤١].

٤- التوسط في مراعاة أحوال الناس بعدم المشقة عليهم:

ولأن الوسطية هي العدل، فانظروا إلى أعلى مراتب العدل كما جاء في هذه الآية، ولتكون هدًى يهتدي به عباد الله الصالحون.

قال الله تعالى:« لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ

رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ». الطلاق/٧.

أي: لينفق الغني من غناه، فلا ينفق نفقة الفقراء. «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ» أي: ضُيّق عليه «فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ» من الرزق. «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلا مَا آتَاهَا» وهذا مناسب للحكمة والرحمة الإلهية حيث جعل كلا بحسبه، وخفف عن المعسر، وأنه لا يكلفه إلا ما آتاه، في باب النفقة وغيرها. «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» وهذه بشارة للمعسرين، أن الله تعالى سيزيل عنهم الشدة، ويرفع عنهم المشقة، «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا». [تفسير السعدي : تيسير الكريم الرحمن ص: ٨٧٢].

وهذا يقال للذين يشقون على الناس في المهور حتى تأخر الشباب والشابات عن الزواج فانتشرت الفواحش، وكثر اللقطاء وأولاد الزنا، وظهر بالمجتمعات من الفساد ما يعرضها لغضب الله وعقابه.

- عَنْ أَبِي الْعَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: «أَلَا لَا تُغَالُوا بِصُدُقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً». [سنن أبي داود ٢/ ٢٣٥]وصححه الألباني.

. ويلحق بما تقدم الوسطية في الرفق بالعصاة

من الناس من يكون له صديق يحبه، فإذا أذنب أو ركب معصية أو انحرف؛ أعرض عنه وقاطعه، ولم يكلف نفسه نصحه ومحاولة إصلاحه أو الدعاء له، بل ربما تهكم عليه وسخر منه واستحل غيبته، ويعتبر ذلك من الغضب لله والبغض فيه، والغيرة من أجله. فأين حسن العهد مع حسن الخلق؟ وقد عالج النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا السلوك كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِسَكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ. فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:«لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ». [صحيح البخاري ٨/ ١٥٩].

فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن قولهم: (أخزاك الله) من الخزي، وهو الذل والهوان. وقال لهم: (لا تعينوا عليه الشيطان) بدعائكم عليه بالخزي، فيتوهم أنه مستحق لذلك، فيغتنم الشيطان هذا ليوقع في نفسه الوساوس].

وقد قام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بتطبيق ما قاله نبيهم صلى الله عليه وسلم:

. قال يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ: إِنَّ رَجُلًا كَانَ ذَا بَأْسٍ وَكَانَ يُوفَدُ عَلَى عُمَرَ لِبَأْسِهِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنَّ عُمَرَ فَقَدَهُ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: تَتَابَعَ فِي هَذَا الشَّرَابِ (الخمر)، فَدَعَا كَاتِبَهُ فَقَالَ: اكْتُبْ: مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى فُلَانٍ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ «غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ» [غافر: ٣]، ثُمَّ دَعَا وَأَمَّنَ مَنْ عِنْدَهُ، وَدَعَوْا لَهُ أَنْ يُقْبِلَ علي اللهُ بِقَلْبِهِ، وَأَنْ يَتُوبَ الله عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَتَت الصَّحِيفَةُ الرَّجُلَ جَعَلَ يَقْرَؤُهَا وَيَقُولُ: «غَافِرِ الذَّنْبِ»، قَدْ وَعَدَنِي اللهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، وَ«قابل التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ»، قَدْ حَذَّرَنِي اللهُ عِقَابَهُ، «ذِي الطَّوْلِ»، وَالطَّوْلُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ»، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ نَزَعَ (تاب) فَأَحْسَنَ النَّزْعَ، فَلَمَّا بَلَغَ عُمَرَ أَمْرُهُ قَالَ: هَكَذَا فَاصْنَعُوا، إِذَا رَأَيْتُمْ أَخًا لَكُمْ زَلَّ زَلَّةً فَسَدِّدُوهُ، وَوَفِّقُوهُ، وَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ، وَلَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ «. [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤/ ٩٧]. وللحديث بقية إن شاء الله .

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بأخلص التهاني للأستاذ **جمال سعد حاتم** ، رئيس تحرير المجلة، بمناسبة زواج ابنته **نهال جمال سعد حاتم** ، داعين الله تعالى أن يجعل زواجها مباركًا ميمونًا، وأن يجمع بينها وبين زوجها الكريم **إسلام أحمد المولد** في خير ، وأن يرزقهما الذرية الصالحة التي تعبد الله ولا تشرك به شيئًا .



قصة مكان قبر آدم عليه السلام

الحلقة (١٦٥)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا الدفاع تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على السنة المتصوفة والقبوريين وجعلوها دليلاً من الأدلة على اتخاذ القبور مساجد وتشد إليها الرحال، وتذبح عندها الذبائح، ويتم السجود إليها، واستقبالها بالصلاة والدعاء، وبناء المساجد عليها، وهذه القصة ذُكرت في بعض مصادر الحديث الأصلية عند أهل السنة مما يحتم علينا تخريجها وتحقيقها:

أولاً: المتن:

رُوي عن ابن عباس قال: صلى جبريل عليه السلام على آدم عليه السلام؛ كبّر عليه أربعًا، وصلى جبريل بالملائكة يومئذ، ودُفن في مسجد الخيف، وأُخذ مِن قبل القبلة، ولُحِدَ له، وسُنّم قبره. اهـ.

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني في كتابه «السنن» (٢/٢١٨) (ح١٧٨٨)، كتاب الجنائز، الباب الثالث: «مكان قبر آدم والتكبير عليه أربعًا». قال: «حدثنا محمد بن مخلد، حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان العلاف، حدثنا صباح بن مروان، حدثنا عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير، وعروة عن ابن عباس قال: صلى جبريل عليه السلام على آدم عليه السلام». القصة.

ثالثًا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية: قصة مكان قبر آدم عليه السلام علته عبد الرحمن بن مالك بن مغول.

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٦١): عبد الرحمن بن مالك بن مغول البجلي أبو بهز من أهل الكوفة كان ممن يروي عن الثقات المقلوبات وما لا أصل له عن الأثبات، تركه أحمد بن حنبل. اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي في كتابه: «الجرح والتعديل» (٥/٢٨٦/١٣٦٨):

أ- عبد الرحمن بن مالك بن مغول روى عن الأعمش وأبيه، سمعت أبي يقول ذلك.

ب- أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إليّ أن قال: قال أبي: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول ليس بشيء، خرقنا حديثه

منذ دهر من الدهر». اهـ.

جـ- قرئ على العباس بن محمد الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد رأيته وليس بثقة». اهـ.

د- وقال سمعت أبي يقول: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول متروك الحديث». اهـ.

٣- قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في «الميزان» (٢/٥٨٤/٤٩٤٩): عبد الرحمن بن مالك بن مغول، قال أحمد والدارقطني: «متروك».

وقال أبو داود: كذاب، وقال مرة: يضع الحديث، وقال النسائي وغيره ليس بثقة.

١- ذكره الحافظ ابن حجر في «الميزان» (٣/٥١٩) (٦٩٠/٥٠٤١) بعضا من أقوال أئمة الجرح والتعديل وزاد عليه:

وقال ابن معين: قد رأيته، وليس بثقة.

وقال أبو حاتم: متروك.

وقال أبو زرعة: ليس بقوي.

وقال أحمد: خرقنا حديثه منذ دهر.

وقال الجوزجاني: ضعيف الأمر جدًا.

وقال الحاكم وأبو سعيد النقاش: روى عن عبيد الله بن عمرو الأعمش أحاديث موضوعة.

وقال أبو نعيم: روى عن الأعمش المناكير، لا شيء.

وذكره الساجي، وابن الجارود، وابن شاهين في الضعفاء.

رابعًا: تصحيف في مصطلح من مصطلحات الجرح والتعديل:

التصحيف هنا ليس تصحيفًا في السند، وكذلك ليس تصحيفًا في المتن، ولكنه تصحيف في لفظ الجرح الذي قاله إمام من أئمة الجرح والتعديل في راوٍ من الرواة، وذلك بتغيير الكلمة.

١- اللفظ المصَحَّف:

مما أوردناه آنفًا عن الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣/٥١٩) (٦٩٠/٥٠٤١) فيما ذكره من أقوال أئمة الجرح والتعديل في عبد الرحمن بن مالك بن مغول نجد أن الحافظ ابن حجر نقل عن الإمام أحمد بن حنبل قولاً مُصَحَّفًا، وقال أحمد: «حرقنا حديثه منذ دهر».

قلت: وأنا أستبعد أن يكون هذا التصحيف وقع من الحافظ الجهبذ ابن حجر، ولكن قد يكون وقع من الذين يقومون بطبع كتاب «لسان الميزان» أثناء الطبع.

٢- ولهذا خرجت آنفًا قول الإمام أحمد من المصادر الأصلية لكتب الجرح والتعديل والتي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى أئمة الجرح والتعديل كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم.

أ- فتبين مما أخرجه الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/٢٨٦/١٣٦٨): قال أحمد: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول: ليس بشيء خرقنا حديثه منذ دهر من الدهور». اهـ. ولقد ذكرناه بسنده آنفًا.

قلت: بالمقارنة نجد أن قول الإمام أحمد الذي أخرجه الحافظ ابن أبي حاتم: «خرقنا حديثه» صُحف في «لسان الميزان» إلى «حرقنا حديثه»، والتصحيف في نقطة فغيّرت الخاء، إلى حاء، فتغيرت الكلمة، ويحسبه من لا علم له هينًا، ولكنه عظيم عند أهل الحديث.

ب- وهذا التصحيف يتبين أيضًا مما أخرجه الإمام ابن عدي في «الكامل» (٤/٢٢٨) (١٤٧/١١١٤) قال أحمد: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول خرقت حديثه منذ دهر من الدهر». اهـ. ولقد ذكرناه بسنده آنفًا.

جـ- وهذا التصحيف الذي وقع في لسان الميزان يتبين أيضًا مما أخرجه الإمام الحافظ العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/٣٤٥/٩٤٦)

قال: «حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبي يقول: خرقنا حديث عبد الرحمن بن مالك بن مغول من دهر من الدهور ليس بشيء». اهـ.

خامسًا: تصحيف آخر خطير:

هذا التصحيف الخطير أدى إلى تحريف قول الإمام يحيى بن معين رحمه الله تحريفًا لا يستقيم معه معنى.

وقول ابن معين يتناول ضبط اسم الراوي عبد الرحمن بن مالك بن مغول والحكم عليه، حيث إنه علة هذا الخبر الذي جاءت به قصة «مكان قبر آدم عليه السلام».

٢- هذا القول أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٨٨/٤) (١١١٤/١٤٧) قال: حدثنا ابن حماد، حدثنا العباس سمعت يحيى يقول: عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد رأيته وهو ابن أبي بهز، ومالك بن مغول هو جدُّ أبي بهز. اهـ. ط «دار الفكر».

قلت: هذه رواية العباس بن محمد الدوري والتي سمع فيها يحيى بن معين والتي حدث فيها التصحيف كما سنبين فلم يستقم المعنى نتيجة هذا التصحيف.

أ- فقوله: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد رأيته، وهو ابن أبي بهز، يجعل عبد الرحمن بن مالك هو ابن أبي بهز يعني عبد الرحمن بن أبي بهز، وبهذا يصبح مالك كنيته أبا بهز، وليس مالك هو جد أبي بهز، بل التصحيف جعل مالكًا هو أبو بهز.

فقوله: «قد رأيته وهو ابن أبي بهز»، فالضمير المنفصل «هو» يعود على الضمير المتصل «الهاء» في كلمة (رأيته)، والإمام يحيى بن معين رأى عبد الرحمن بن مالك بن مغول.

ب- والرواية عن الإمام يحيى بن معين، فوق هذا التصحيف الذي سنبينه؛ حدث فيها حذف في فهم الأمور بالنسبة للصناعة الحديثية، وهو الحكم على الراوي عبد الرحمن بن مالك بن مغول.

٢- وبيان هذا الحذف من نفس رواية العباس بن محمد الدوري والتي أخرجها الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٣٦٨/٢٨٦/٥) قال: «قرئ على العباس بن محمد الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد رأيته وليس هو بثقة». اهـ.

٣- من بدائع الفوائد هذه الرواية التي يتبين منها التصحيف والحذف معًا وهي أيضًا من نفس طريق العباس بن محمد الدوري، فقد أخرج الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢٣٦/١٠) قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد الأكبر، أخبرنا محمد بن العباس، أخبرنا أحمد بن سعيد السوسي، حدثنا عباس بن محمد قال: سمعت يحيى بن معين يقول: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد رأيته، وليس بثقة، هو أبو أبي بهز ومالك بن مغول، جد أبي بهز». اهـ.

أ- انظر إلى ما أخرجه الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» عن ابن معين يقول: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد رأيته، وليس بثقة هو أبو أبي بهز». اهـ.

جـ- بالمقارنة نجد أن قوله: «هو أبو أبي بهز» صُحِّف: «هو ابن أبي بهز»، فلفظ «أبو» صحف: إلي لفظ «ابن».

د- ولذلك لم يستقم المعنى عن ابن عدي في «الكامل» نتيجة تصحيف قول ابن معين: «عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد رأيته وهو ابن أبي بهز، ومالك بن مغول هو جد أبي بهز»، وقد بينا آنفًا أن المعنى لا يستقيم ويصير عبد الرحمن هو ابن أبي بهز، وعبد الرحمن هو ابن مالك، فمالك بهذا التصحيف هو نفسه أبو بهز كنية وليس هو جد أبي بهز.

هـ- ونجد أن المعنى يستقيم تمامًا عند

الخطيب في «التاريخ» في قول ابن معين «عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد رأيته وليس بثقة هو أبو أبي بهز ومالك بن مغول جد أبي بهز». اهـ.

فنجد عبد الرحمن بن مالك هو أبو أبي بهز، وبهذا يتبين أن عبد الرحمن هو والد أبي بهز، وبهذا يستقيم المعنى: أبو بهز بن عبد الرحمن بن مالك بن مغول فيكون عبد الرحمن هو أبو أبي بهز، ومالك بن مغول هو جدُّ أبي بهز». و«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ » [الأعراف:٤٣].

خامسا: علة أخرى في قصة «مكان قبر آدم عليه السلام»

هناك علة أخرى -وهو عبد الله بن مسلم بن هُرمز- تزيد القصة وهنًا على وهن:

١- ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٣٥٥٠/٥٣٧/١٠) قال: «عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي روى عن سعيد بن جبير وآخرين، وروى عنه عبد الرحمن بن مالك بن مغول وآخرين»، ثم ذكر أقوال علماء الجرح والتعديل فيه:

أ- قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ضعيف ليس بشيء.

ب- وقال عباس الدُّوري، عن يحيى بن معين أبو داود والنسائي: ضعيف.

جـ- وقال عمرو بن علي: ليس بشيء، ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن سفيان عنه شيئًا قط. وذكره ابن عدي في «الكامل» (١٥٧/٤) (٩٨٠/١٣)، وأخرج عن أحمد ويحيى بن معين أنه ليس بشيء، وأحاديثه ومقدار ما يرويه لا يُتابع عليه. اهـ.

٢- ذكره الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٦/٢) قال: «عبد الله بن مسلم بن هرمز من أهل مكة، كنيته أبو يعلى، يروي عن المكيين: سعيد بن جبير، كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات؛ فوجب التنكب عن روايته». اهـ.

قلت: ولقد بينا آنفًا حال الراوي عنه عبد الرحمن بن مالك بن مغول وأنه متروك، ليس بثقة، كذاب، يضع الحديث، خرقوا حديثه، ليس بشيء، وتصبح قصة دفن آدم عليه السلام في مسجد الخيف بمنى قصة واهية وباطلة، واحتجاج المتصوفة والقبوريين بها باطل لاتخاذ القبور مساجد، وأنى يكون لهم ذلك، وقد أخرج البخاري (ح١٣٣٠، ١٣٩٠، ٤٤٤١)، ومسلم (ح٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: «ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خُشي أن يُتخذ مسجدًا».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار فرع أنصار السنة المحمدية بالبطاخ، محافظة سوهاج، وذلك وفقًا للقانون ٨٤ لعام ٢٠٠٢، برقم (٩٩٧) بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٠م.

والله الموفق

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحلقة (٢)

القرائن الشرعية على حمل صفة اليدين لله تعالى على ظاهرها

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

ففي بيان ما لأجله قال القائلون بالمجاز في الصفات، وحمَل الصارفون آياتها وأحاديثها عن الحقيقة إليه، تجدر الإشارة إلى أن ثمة قرائن شرعية تمنع من إرادة المعنى المجازي، وأخرى تحتّم إرادة المعنى الحقيقي، ولربما هوّن من شأن الاتكاء على هذا النوع من القرائن بعض مَن زعم من أهل الكلام أن نصوص الوحي لم تكن متواترة في إثبات الصفات الخبرية والفعلية أو صريحة فيهما بالقدر الكافي، أو لم تكن - فيما أسموه بالظنيات السمعية - مُفصحة بعدم جواز صرفها عن ظاهر حقيقتها.

فكان لا بد من ذكر ما تيسر من النصوص؛ أملاً في أن تكتمل القرائن وتتكاتف في حل هذا الإشكال الذي تعاقبت عليه أجيال وأجيال على مدى الدهور والأزمان، وسعياً في بيان مدى إفادتها إثبات الصفات وأوجه دلالتها على حمل تلك الصفات على الحقيقة.. وفي الإشارة لهذا النوع من القرائن يقول د. عبد العظيم المطعني في كتابه (المجاز بين الإجازة والمنع) ٢/ ٧٨٨: «وفي القرائن الشرعية لا مدخلية للغة في المنع، وإنما المانع هو الشرع وأصول الاعتقاد فيه».

وأقول: إنه إذا كانت القرائن الشرعية عند أهل الحق كافية وحدها من دون القرائن اللغوية في حمل الصفات الخبرية والفعلية على حقيقتها، وفي حسم أمر كهذا يتعلق بأحد أصول الإيمان، وبأمر من أمور الاعتقاد، فما بال المتكلمة ومن لف لفهم يُعرضون عنها مع اجتماعها وقرائن اللغة وأدلة العقل وقد تضافرت جميعاً على حمل معاني الصفات على الحقيقة دون المجاز تُدحض أقوالهم وتفند مزاعمهم، وهم - وأيم الله - لو أنصفوا وتدبروا ما حوته لانقطعت حججهم ولدحضت براهينهم، ولسلمت القضية من كل جدل وخلصت العقيدة من كل دخَن.

تضافر اللغة والشرع في إثبات صفات الله وحملها على ظاهرها

وأؤكد بادئ ذي بدء أنه على نحو ما انتفت القرائن اللغوية لصرف صفات اليد والكف والأصابع والقبضة واليمين والبسط وما شابهها عن الله تعالى، بل وكانت دالة على إثباتها لله تعالى على نحو ما أوضحنا في الحلقة الماضية، فقد انتفت القرائن الشرعية أيضاً، والأدلة النقلية عن صرفها عن الحقيقة، وكانت هي الأخرى برهاناً على حمل الصفات على ظاهرها، وذلك - وببساطة شديدة - لأن القرآن إنما نزل بلغة العرب، وأتى على أنماطها وقوانينها، وتحداهم بخصائصها ودلالاتها وبمفرداتها وتراكيبها، فأنى لهما أن يفترقا أو يتعارضا إلا في أذهان من أعملوا الهوى وقدموا بين يدي الله ورسوله.

ونذكر من أدلة الشرع على حمل صفة اليد وما شابهها على ظاهرها وحقيقتها اللائقة به تعالى:

١- قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عما يكون يوم البعث: (يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟).. [أخرجه البخاري (١٣٥/٨) ومسلم (١٢٦/٨)]، وقوله في رواية أخرى لهما: (يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين يأخذهن بيده الأخرى) [أخرجه مسلم (٢٧٨٨)].. وفي أخرى لهما: (إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين على أصبع، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك) [صحيح مسلم (١٢٦/٨)].. وفي رواية رابعة: (يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك) [صحيح البخاري (٤٥٣٤)، ومسلم (٢٧٨٧)].

فها أنت تجد في هذه الروايات من الحديث: هزًا وقبضاً وطيًا وذكر يدين ونصاً على يد يمنى ويد أخرى مضافتين إليه سبحانه.. ولما أخبرهم رسول الله بما

يكون منه تعالى حينذاك، جعل يقبض يديه ويبسطهما تحقيقاً للصفة لا تشبيهاً لها، كما قرأ (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ١٣٤)، ووضع يديه على عينيه وأذنيه، تحقيقاً لصفة السمع والبصر، وأنهما حقيقة لا مجاز.. وإنما وقع التحرز عن ذكر الشمال على ما أفادته رواية البخاري (بيده الأخرى)، وصرحت به رواية لمسلم: لئلا يُتوهم نقص في صفته سبحانه؛ لأن الشمال في حقنا أضعف من اليمين، ومياسر كل شيء تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام، وهو - سبحانه - تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

٢- الآية الكريمة التي جاءت روايات الحديث السالفة الذكر لشرحها، وهي قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر: ٦٧)، وفي خبر لابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن قرأها ذات يوم على المنبر: (راح يقول هكذا بيده، يحركها يُقبل بها ويدبر)، وفي أخرى لمسلم عنه: (حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله؟!) [أخرجها مسلم (١٢٦/٨)]، ولا يسوغ حملُ لكل هذا سوى على الظاهر والحقيقة دون المجاز.

٣- ومن أدلة حمل صفة اليد على ظاهرها: قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجاه: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة) [صحيح البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٧٩٢)]، وهو في معنى ما سبق.. ثم إنه وباقتران ألفاظ: (الطي والقبض، والإمساك والتكفؤ الذي يعني: التقلب) بـ (اليد) يصير المجموع حقيقة، هذا في الفعل وهذا في الصفة، بخلاف اليد المجازية فإنها إذا أُريدت لم تقترن بها ما يدل على اليد حقيقة بل ما يدل على المجاز كقولهم: (له عندي يد)، و(أنا تحت يدهم) ونحو ذلك، وأما إذا قيل: (قبض بيده وأمسك بيده)، أو (قبض بإحدى يديه كذا وبالأخرى كذا) و(جلس عن يمينه)، أو (كتب كذا وعمله بيمينه أو بيديه)، فهذا لا يكون إلا حقيقة على ما تشهد به لغة العرب ويمتنع معه أن تكون اليد مجازية سواء كانت بمعنى القدرة أو بمعنى النعمة، فإنها لا يُتصرف فيها هذا التصرف.

٤- وقوله في حديث الشفاعة المتفق عليه: (يُجمَع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا.. الحديث) [صحيح البخاري (٤٢٠٦)، ومسلم (١٩٣)]، وهو نص في خلقه تعالى آدم بيديه.

٥- وقوله: (فأقوم عن يمين الرحمن مقاماً لا يقومه غيري) [أخرجه أحمد (٣٧٨٧) والحاكم (٣٣٨٥) وقال: صحيح الإسناد]، كذا بالإضافة التي لا دلالة لها إلا التخصيص والإثبات.

٦- ونحوه قوله فيما صح إسناده عند أحمد والطبراني وغيرهما: (إن الله وعدني أن يُدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، قال: وثلاث حثيات من حثيات ربي، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دعني يا عمر، وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا، فقال عمر: إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحدة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق عمر) [أخرجه أحمد (١٢٧١٨)، وقال الهيثمي (٤٠٤/١٠): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجالهما رجال الصحيح]. فذكر عليه سلام الله الحثوَ، وصدَّق عمر في إثبات الكف له تعالى وسعتها وعظمتها.

٧- وقوله في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من طريق أبي رزين: (فيأخذ ربك غرفة من الماء فينضح بها قِبَلكم فلا يخطئ وجه أحدكم) ، يعني في الموقف، والحديث أخرجه الطبراني (٤٧٧) ، والحاكم (٨٦٨٣).

٨- وكذا قوله - بأبي هو وأمي - فيما رواه مسلم بحق أهل الحق والإنصاف يوم القيامة: (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا) [صحيح مسلم (١٨٢٧)]، ولا دلالة للعبارتين (يمين الرحمن) و(كلتا يديه) سوى ما ذكرنا من الإثبات والتخصيص.

٩- ويدل على ثبوت صفة اليد لله صراحة قوله تعالى: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص: ٧٥)، ففي فتح الباري (٤٠٥/١٣) ينقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: «في هذه الآية إثبات يدين لله تعالى، وهما صفتان من صفات ذاته وليستا بجارحتين، خلافاً للمشبهة من المثبتة وللجهمية من المعطلة، ويكفي للرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة، أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة، ولا قدرة له في قول النفاة؛ لأنهم يقولون إنه قادر لذاته».

كما نَقل عنه - في كلام مفحم - قوله في وجه دلالة تفضيل آدم على إبليس بكونه خلقه بيديه: «ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة، أن في قوله تعالى لإبليس: (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص/ ٧٥) إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود، فلو كان اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق، لتشاركهما فيما خَلق كل منهما به وهي قدرته، ولقال إبليس: وأيّ فضيلة له عليَّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك؟

فلما قال: (خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (الأعراف:١٢)

دل على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه، قال - يعني ابن بطال فيما نقله عنه ابن حجر -: ولا جائز أن يراد باليدين: النعمتان؛ لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق؛ لأن النعم مخلوقة، ولا يلزم من كونهما صفتي ذات أن يكونا جارحتين»، وفي معنى ما ذكر صح عن ابن عمر قوله: (خلق الله تبارك وتعالى أربعة أشياء بيده: العرش، وجنات عدن، وآدم، والقلم..).

١٠- كما يدل على ثبوتها: حديث أبي موسى الأشعري وقد ذكره الألباني في صحيح الجامع (٩٥٧١) وفيه قوله صلى الله عليه وسلم عن بدء الخليقة: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فمنهم الأحمر والأبيض والأسود.. إلخ)، وقريب منه قوله: (لما خلق الله آدم قبض بيديه قبضتين وقال: اختر، فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين، ففتحها فإذا فيها أهل اليمين من ذريته)، وفي رواية الشيخين المختصرة بعد تعليم الله آدم ما يقول عند العطاس وعند تحية الملائكة وتحيتهم له: (فقال الله له - ويداه مقبوضتان - اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته) [أخرجه الترمذي (٥/٤٥٣ ، رقم ٣٣٦٨) وقال : حسن غريب . والحاكم (١/١٣٢ ، رقم ٢١٤) وقال : صحيح على شرط مسلم].. فذكر (القبضتين) تأكيداً على إثباتهما واليدين، صفتين له تعالى.

١١- وكذا قوله في محاجة آدم لموسى - عليهما السلام - كما في الصحيحين: (احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ثم أخرجتنا منها، فقال آدم: .. فبكم تجد في التوراة أنه كتب عليَّ العمل الذي عملتُه قبل أن أُخلق؟، قال موسى: بأربعين سنة، قال آدم: كيف تلومني على عمل كتبه الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين سنة؟!، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى) [صحيح البخاري (٣٢٢٨) ، ومسلم (٢٦٥٢)]، يعني على صريح ما ورد في كلامه وفيه: خلقُه تعالى آدم بيديه.

١٢- وجاء في بعض روايات الحديث: فقال له آدم: (أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك في الألواح بيده).. وفي بعضها: (وكتب لك التوراة بيده) كذا بالتصريح الذي لا يصلح معه التأويل، إذ صحبتهما الباء والخط والكتابة التي تمنع من تقدير: (وخط لك في الألواح بنعمته) أو (وكتب لك التوراة بقدرته).. ومصداقه قول الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٤٥).

١٣- وحديث أبي هريرة وهو في البخاري ومسلم: (كتب ربكم تبارك وتعالى على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي تسبق - أو قال: سبقت- غضبي) [صحيح البخاري (٦٩٦٩) ، ومسلم (٢٧٥١)]، وهو في وجه الدلالة كسابقه.

١٤- ومن النصوص الصحيحة والصريحة في ثبوت صفة اليد له تعالى، قوله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)، ومن المعلوم أن البسط بالمنح والعطاء من لوازم اليدين، فما بالك لو نُص عليهما في الحديث، ومثله في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (المائدة: ٦٤).

١٥- ومن أوجه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (المائدة: ٦٤)، على إثبات صفة اليد له تعالى: إنكاره جل وعلا على اليهود نسبة اليد إلى النقص والعيب، في حين لم ينكر عليهم إثبات يديه، بل وقدَّر القرآن إثباتهما له - سبحانه - زيادة على ما قالوه، فأخبر بأنهما يدان مبسوطتان.

١٦- ومن أدلة ثبوت اليد لله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، تقبلها بيمينه) [صحيح البخاري (١٣٤٤) ، ومسلم (١٠١٤)].

١٧- ونظيره قوله فيما أورده البخاري ومسلم: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربِّي أحدكم فلوه) [صحيح البخاري (١٣٤٤) ، ومسلم (١٠١٤)]، كذا بإثبات الأخذ باليمين وإثبات الكف المضافتين له جل جلاله.

١٨- وقوله فيما أخرجاه: (يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض مما في يمينه)، قال: (وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض) [صحيح البخاري (٦٩٨٣) ، ومسلم (٩٩٣)].

١٩- وقوله فيما أخرجه مسلم وغيره: (إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب رجل واحد، يُصرِّفُها كيف يشاء)، وفي رواية لأحمد وابن ماجة وصححها الألباني: (ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين، إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه).. على أن لفظ (بين) لا تقتضي المخالطة ولا المماسة والملاصقة، لا لغة ولا عقلاً ولا عرفاً، بل هو - ولله المثل الأعلى - كما في قول الله تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (البقرة/ ١٦٤)، والسحاب على ما هو متعارف: لا يلاصق السماء ولا الأرض.. ولكن الجهمية - كما يقول بشر بن الحارث ونقله عنه الآجري في الشريعة

ص ٣٠٦ - يتعاظمون هذا.

٢٠- وضحكه صلى الله عليه وسلم من قول الحَبر الذي جاءه يقول: يا محمد، إن الله جعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيهزهن فيقول: أنا الملك؟، قال ابن مسعود راوي الحديث فضحك النبي حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبر، ثم قال: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر/ ٦٧).. والحديث تضافر على سرده البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن وكتب الاعتقاد.

على أن في حمل (صفة اليد) على ظاهرها وعلى النحو اللائق بجلاله دون تمثيل أو تشبيه أو تجسيم أو تكييف أو تأويل، يشير إليه ويدل عليه على ما سبق ذكره: اطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله الذي يمنع المجاز.

ألا ترى إلى ذكر القبض والبسط والطي واليمين والحثو والرفع والخفض والإمساك والأخذ، وكذا ألفاظ الكف والوقوف عن يمين الرحمن وتقليب القلوب بأصابعه ووضع السموات على أصبع والجبال على أصبع.. إلخ، وذكر إحدى اليدين وقوله صلوات الله عليه: (وبيده الأخرى)؟

ألا ترى إلى آية الزمر وتفسيراتها في صحيح كلام الموحى إليه صلى الله عليه وسلم، وإلى إضافتها إليه تعالى في نحو قوله: (يمين الرحمن) (بيمينه)، ومن قبل ذا إلى ما قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (المائدة: ٦٤) وقوله: (خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص/ ٧٥)، وكذا في نحو قوله عليه السلام: (كلتا يديه) من تثنية، وإلى ما يكون بهما يوم القيامة، وما كان منهما يوم خلق آدم؟

فهل يمكن أن يقال في مثل هذا: (يد النعمة والقدرة) أو أنه محمول على غير ظاهره؟!.. وهل يمكن أن يكون جميع ما ذكر من أوله إلى آخره وأضعافه، وأضعاف أضعافه من القرائن الشرعية، مجازاً لا حقيقة، وليس مع القائل بمجازه قرينة واحدة تبطل الحقيقة وتبين المجاز؟!

رد شبهة التشبيه والتجسيم:

على أن خطيئة التشبيه التي تلبس بها المتكلمة وضعاف العلم ويأبون إلا إلصاقها بسلف الأمة ومن سار على دربهم، إنما تتمثل بحق من يقول: (إن يده تعالى كأيدينا) وعلى ما كان يعتقد معشر يهود.. وهو ما أشار إليه ابن بطال فيما سبق أن نقلناه ونقله عنه ابن حجر.

وفي (الأسماء والصفات) للبيهقي ص٤٦٩ أن «اليد لله تعالى صفة بلا جارحة، فكل موضع ذكرت فيه من كتاب وسنة صحيحة، فالمراد بذكرها: تعلقها بالمذكور معها من الطي والأخذ، والقبض والبسط، والمسح والقبول، والإنفاق وغير ذلك، تعلق الصفة الذاتية بمقتضاها من غير مباشرة ولا مماسة، وليس في ذلك تشبيه بحال».. يقول أبو سليمان الخطابي صاحب معالم السنن ت ٣٨٨ وقد نقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٧١: «ليس معنى اليد عندنا الجارحة، إنما هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيّفها، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة».

وكذا خطيئة التجسيم التي يتذرع بها الذين بينهم وبين السنة وأهلها خصومة لا يُقدَر قدرها ولا يَعلم مداها إلا مصرف القلوب ومقلبها سبحانه.. إنما تكون هي الأخرى بحق من نقل أبو الحسن الأشعري كلامهم في (مقالات الإسلاميين) ص ٢١٧، ٢١٨ حيث قال: «قالت المجسمة: (له يدان ورجلان ووجه وعينان وجنب)، يذهبون إلى الجوارح والأعضاء، وقال أصحاب الحديث: (لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله عز وجل أو جاءت به الرواية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقول: وجه بلا كيف، ويدان وعينان بلا كيف).. وقالت المعتزلة بإنكار ذلك إلا الوجه، وتأولت اليد بمعنى النعمة»ا. هـ..

ومما نقله الأشعري في مقالاته ص ٢٠٩ عن المجسمَين (داود الجواربي) و(مقاتل بن سليمان) قولهما: «إن الله جسم، وإنه جثة على صورة الإنسان، لحم ودم وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان وعينين».. فأين هذا مما نطق به ووُفق إليه أهل السنة وأصحاب الحديث؟!.

وقد رد ابن القيم رحمه الله قالة السوء للمجسمة والمشبهة، ودحض طاغوت تأويل اليدين من عشرين وجهاً في مختصر الصواعق، ما ذكرناه لا يساوي سوى النذر اليسير والمختصر لما قاله، فليراجع فإنه من الأهمية بمكان.

والغريب في الأمر أنك كلما نفيت عن نفسك وعن عموم أهل السنة التشبيه والتجسيم في إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله وصحابته وتابعيهم وتابعي تابعيهم من القرون المفضلة وما تلاها، استماتوا في إلصاقها بك عنوة، ولسان حالهم أن ما تأولوه وتصوروه هو الحق المطلق الذي لا محيد عنه وما كان عليه من ذكرنا من الرسول ومن تبعه هو الباطل المحض.. وسبحان من له في خلقه شئون..

وإلى لقاء آخر نستكمل بمشيئة الله الحديث عن قرائن حمل صفات الخالق على ظاهرها. والحمد لله رب العالمين.



الاستصناع عند الحنفية

إعداد/ د. علي السالوس

بدأنا في العدد السابق بالحديث عن الاستصناع، وذكرنا أن المذاهب الثلاثة المالكية والشافعية والحنابلة لم تجعل عقد الاستصناع عقدًا مستقلًا، وإنما جعلوه ضمن السلم.

وفي هذا العدد نتكلم عن الاستصناع عند الحنفية، ثم الراجح في هذه المسألة وأهم المقترحات:

أولا: معناه:

قال الكاساني في بدائع الصنائع (٢/٥): «وأما معناه فقد اختلف المشايخ فيه، قال بعضهم: هو مواعدة وليس ببيع، وقال بعضهم: هو بيع لكن للمشتري فيه خيار، وهو الصحيح، بدليل أن محمد بن الحسن رحمه الله ذكر في جوازه القياس والاستحسان وذلك لا يكون في العدات -يعني الوعود- ، وكذا أثبت فيه خيار الرؤية، وأنه يختص بالبياعات، وكذا يجرى فيه التقاضي، وإنما يتقاضى فيه الواجب لا الموعود.

ويؤخذ من كلام الكاساني، أن الحنفية اختلفوا في تحديد معنى الاستصناع: أيعد مواعدة أم بيعًا؟ وذكر أن الصحيح أنه بيع، واستدل لقوله. ثم بين أنهم اختلفوا في بيان هذا النوع من البيع: أهو عقد على مبيع في الذمة، أم عقد على مبيع في الذمة شرط فيه العمل؟

ثانيا: دليل مشروعيته:

ذهب الحنفية- عدا زفر- إلى جواز الاستصناع، واستدلوا على مشروعيته بما يأتي:

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم استصنع خاتمًا ومنبرًا.

٢- الإجماع الثابت بالتعامل.

٣- الاستحسان.

وذكروا أن المانعين استدلوا بأنه بيع معدوم، وبيع ما ليس عند البائع على غير وجه السلم، فهو مخالف للقياس، وردوا بالإجماع المؤيد بالسنة المطهرة، فلننظر فيما ذكر من الأدلة:

السنة المطهرة والإجماع:

لو كان الاستصناع الذي ذهب إليه جمهور الحنفية ثابتًا بالسنة والإجماع فكيف خالفهم باقي الأئمة الأعلام؟

واستصناع الخاتم والمنبر جاء في الصحيحين وغيرهما، ولا خلاف في أن الرسول صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتما كتب عليه محمد رسول الله، واصطنع منبرًا، أفترك الأئمة هذه السنة الصحيحة الثابتة وخرجوا على الإجماع؟

هذا أمر مستبعد كل الاستبعاد، ولذلك لم يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم اصطنع الخاتم والمنبر بطريقة الاستصناع التي قال بها الحنفية، وليس هناك إجماع على هذه الطريقة، بل الأقرب إلى الإجماع هو مخالفتها وعدم جوازها، فما مراد الحنفية من هذا الاستدلال.

وقال صاحب الكافية في شرحه بعد ما سبق مباشرة:

قال صاحب العناية في شرحه: (قوله: وجواز السلم بإجماع لا شبهة فيه) أي بإجماع الصحابة، (وقوله: وفي تعاملهم نوع شبهة)، فإنه عند زفر والشافعي، رحمهما الله، لا يجوز، ولأنه نقل من الصحابة رضي الله عنهم تعاملهم بالسلم، وتأيد الإجماع في السلم بظاهر الكتاب والسنة المشهورة، وفي نقل الصحابة في تعاملهم الاستصناع. [فتح القدير: ٦/٢٤٥].

إذن رأي الحنفية في الاستصناع لا يؤيده سنة ولا إجماع.

أما الاستدلال بالاستحسان:

فالخلاف حول الأخذ بالاستحسان مشهور،

والحديث عنه يطول، ويخرجنا عن الموضوع، ولذلك اكتفي ببيان مراد الحنفية من هذا الدليل: «الاستحسان عند الحنفية كما عرفه أبو الحسن الكرخي: هو أن يعدل المجتهد عن أن يحكم في المسألة بمثل ما حكم به في نظائرها لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول». [اصول الفقه لأبي زهرة من ٢٠٧ ، ٢٠٨].

والاستحسان نوعان:

أحدهما: ترجيح قياس خفي على قياس جلي بدليل.

ثانيهما: استثناء جزئية من حكم كلي بدليل، والدليل قد يكون من السنة أو للإجماع، أو للضرورة.

والاستحسان هو عمدة أدلة الحنفية في الاستصناع، والمراد به هنا النوع الثاني: فالشرع نهى عن بيع المعدوم والتعاقد عليه، والاستصناع- الذي يراه جمهور الحنفية بيعًا ومعاقدة، يعد من المعدوم وقت التعاقد، فأجازوه استحسانًا للإجماع الثابت بالتعامل بحسب قولهم.

ولبيان استدلالهم نذكر أقوال بعضهم:

قال الكاساني في البدائع (٢/٥، ٣): «وأما جوازه فالقياس ألا يجوز، لأنه بيع ما ليس عند الإنسان لا على وجه السلم، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص في السلم، ويجوز استحسانًا الإجماع الناس على ذلك، لأنهم يعملون ذلك في سائر الأعصار من غير نكير، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح».

والقياس يترك بالإجماع، ولهذا ترك القياس في دخول الحمام بالأجر من غير بيان المدة، ومقدار الماء الذي يستعمل، وفي قصة الشارب للسقاء من غير بيان قدر المشروب، وفي شراء البقل وهذه المحقرات، كذا هذا.

ولأن الحاجة تدعو إليه؛ لأن الإنسان قد يحتاج إلى خف أو نعل من جنس مخصوص ونوع مخصوص، على قدر مخصوص وصفة مخصوصة، قلما يتفق وجوده مصنوعًا فيحتاج إلى أن يستصنع، فلو لم يجز لوقع الناس في الحرج.

وقال ابن الهمام في شرح ما سبق: «اصنع لي خفًا طوله كذا وسعته كذا، أو دستًا- أي برمة- تسع كذا ووزنها كذا على هيئة كذا بكذا، ويعطى الثمن المسمى، أو لا يعطى شيئًا، فيقعد الآخر معه، جاز استحسانًا تبعًا للعين».

انتهى المطلوب من أقوال الحنفية وسبق من قبل القول في المنبر والخاتم.

أما ما ذكر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فهو كما يقول السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٤٦٠، حديث: ١٢٨٨): «حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة، وشواهد متعددة في المرفوع وغيره».

وأما قولهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن». فهذا ليس بمرفوع، وإنما موقوف على ابن مسعود، رواه أحمد في مسنده، والبزار، والطبراني في الكبير، وإسناده صحيح. [انظر المسند تحقيق شاكر ٢١١/٥، رواية رقم: ٣٦٠٠، ومن الأخطاء القليلة للسخاوي قوله في المقاصد ص: ٣٦٧: وهم من عزاه للمسند].

والحديث الشريف والأثر ليسا بحجة للحنفية، فليس هناك إجماع على جواز الاستصناع الذي قال به جمهور الحنفية كما أشرت من قبل، والذين رأوا أنه غير جائز، وغير حسن أكثر من الذين رأوا أنه جائز وحسن.

وما قيل في السلم والحجامة والحمام ليس حجة لهم، فهذه المعاملات شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس لأحد بعده حق التشريع، فيبقى الأصل كما هو إلا بدليل شرعي يجيز الاستثناء.

وأما قوله: «ولأن الحاجة تدعو لأن الإنسان... فلو لم يجز لوقع الناس في الحرج»، ففيه نظر؛ لأن هذا الحرج يمكن أن يرفع بالسلم في الصناعات، والإجارة، والمواعدة.

ومن كل ما سبق نرى أن ما ذكره الحنفية من الأدلة لا يؤيد ما ذهب إليه جمهورهم من أنه عقد بيع على غير وجه السلم، والاستنصاع ليس كالصرف الذي لا تجوز فيه المواعدة، ولذلك يمكن الأخذ بقول من ذكر من الحنفية القائلين بأنه وعد وليس عقد بيع، مع النظر فيما يترتب على هذا الوعد.

ثالثًا شروط جوازه:

وجدنا أن المذاهب الثلاثة تشترط للاستصناع

شروط السلم، والمالكية أجازوا استصناع أي شيء مما يعمل الناس في أسواقهم من آنيتهم أو أمتعتهم التي يستعملون في أسواقهم عند الصناع. أما الشافعية والحنابلة فلم يجيزوا من هذه الأشياء ما جمع أجناسًا مقصودة لا تتميز. وسبق بيان هذا من قبل.

والحنفية هم الذين جعلوه عقدًا مستقلًا من العقود المسماة، ووضعوا شروطا لجوازه عندهم وهي:

١ - بيان جنس المستصنع، ونوعه، وقدره، وصفته، لأنه لا يصير معلومًا بدون هذا البيان. وهذا الشرط لا ينفردون به، حيث إنه من شروط السلم.

٢- أن يكون مما يجري فيه التعامل بين الناس.

٣- ألا يكون فيه أجل، وهذا قول أبي حنيفة، وخالفه الصاحبان، وفي المذهب أقوال تتصل بهذا الشرط كما يظهر مما نقل من كتبهم. ويلاحظ عند ذكر الأجل فيما يجري فيه التعامل - أن رأي الإمام أبي حنيفة لا يختلف عن السلم في الصناعات عند المالكية.

رابعًا - حكمه:

حكم الاستصناع عند الجمهور هو حكم السلم تبعًا لرأيهم في الاستصناع كما بينا من قبل.

أمَّا الحنفية فيبين الكاساني رأيهم حيث يقول: (وأما حكم الاستصناع فهو ثبوت الملك للمستصنع في العين المبيعة في الذمة، وثبوت الملك للصانع في الثمن ملكًا غير لازم - على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ويؤخذ مما سبق ما يأتي:

١- الاستصناع عقد غير لازم قبل العمل لكل من المتعاقدين، وهذا لا خلاف حوله عند الحنفية.

٢- وهو كذلك لازم بعد الفراغ من العمل قبل أن يراه المستصنع.

٣- اختلف الحنفية في الحكم إذا أحضر الصانع العين على الصفة المشروطة:

(أ) فظاهر الرواية عن الإمام والصاحبين: أن الصانع يسقط خياره، ويبقى للمستصنع الخيار.

(ب) وروي عن الإمام أن لكل واحد منهما الخيار.

(ج) وروي عن أبي يوسف أنه لا خيار لهما جميعًا.

والأول هو الأصح كما قال ابن عابدين.

ونلاحظ أن الأدلة تنبني أساسًا على القول بمنع الضرر، استدل بهذا من قال بالخيار، ومن قال بالإلزام.

٤ - يبطل الاستصناع بوفاة أحد المتعاقدين.

هذا هو حكم الاستصناع كما جاء في كتب الحنفية، ولكن مجلة الأحكام العدلية جاءت برأي في الإلزام يخالف طبيعة العقد عند الحنفية حيث نصت المادة (٣٩٢) على ما يأتي: «إذا انعقد الاستصناع فليس لأحد العاقدين الرجوع عنه.

وإذا لم يكن المصنوع على الأوصاف المطلوبة المبينة كان المستصنع مخيرًا». اهـ.

ومعنى هذا أن الاستصناع عقد لازم من بداية الإيجاب والقبول قبل العمل، وهذا لا يكون إلا إذا أصبح سلمًا، خلافًا للاستصناع عند الحنفية. ولذلك يجب أن يضاف للمادة (٣٩٢) بعد العبارة الأولى: إحضار الصانع المصنوع على الأوصاف المطلوبة المبينة، فيكون اللزوم حينئذ، ويكون هذا موافقًا لرواية عن أبي يوسف خلافًا لظاهر الرواية عنه، ولا يقال إنه موافق لرأي أبي يوسف.

النتائج والاقتراحات

أولًا: الاستصناع عند المالكية والشافعية والحنابلة جزء من السلم لا يصح إلا بشروطه، وهو عند الحنفية - عدا زفر - عقد مستقل له شروطه وأحكامه الخاصة.

ثانيًا: الشافعية والحنابلة نظروا إلى مادة المصنوع، فأجازوا ما كان من جنس واحد، واختلفوا فيما يجمع أجناسًا مقصودة تتميز بحيث يعلم العاقدان وزن كل من أجزائه، والراجح الجواز، ولم يجيزوا ما جمع أجناسًا مقصودة لا تتميز.

والمالكية نظروا إلى تعامل الناس فأجازوه، ولم ينظروا إلى مادة المصنوع، وإنما إلى المصنوع نفسه، سواء أكان من جنس واحد أم من أجناس مختلفة.

والحنفية أيضًا نظروا إلى ما فيه تعامل، فأجازوه استحسانًا، غير أنهم أجازوا ما ليس فيه تعامل سلمًا لا استصناعًا.

ثالثًا: إذا ذكر الأجل في الاستصناع أصبح سلمًا عند أبي حنيفة خلافًا للصاحبين، وهذا يعني أن رأي الإمام هنا كالسلم في الصناعات عند المالكية.

رابعًا: لعل الأولى النظر إلى تعامل الناس في

الصناعات في مختلف العصور والأمصار، وبهذا نرجح ما ذهب إليه الحنفية والمالكية، والعرف - بضوابطه الشرعية- مصدر يحتج به في الأحكام.

خامسًا: لم نجد ما يجيز رأى الحنفية في جعل الاستصناع بيعًا على غير وجه السلم، وهو معدوم وليس عند البائع. كما أنهم أجمعوا على أنه عقد غير لازم قبل أن يراه المستصنع، وهذا لا يرفع حرجًا، ولا يحل مشكلة، وعلى الأخص في صناعات العصر التي قد تكون بآلاف الآلاف، و (بالمليارات).

ولذلك رأينا مجلة الأحكام العدلية - وهي في الفقه الحنفي - تجعل الاستصناع عقدًا لازمًا منذ البداية، وهذا يخالف إجماع المذهب الحنفي، فضلاً عن باقي المذاهب.

ولهذا أقترح ما يأتي:

١- إذا اعتبر عقد الاستصناع بيعًا ألحقناه بالسلم بجميع شروطه، ويصح في الصناعات التي يتعامل بها في أي عصر.

٢- ما لم يكن سلمًا - حيث يتعذر تطبيق شروطه، ويقع الناس في حرج ومشقة - يعتبر وعدًا لا بيعًا، حتى لا نقع في محظور شرعي.

وفي هذه الحالة نطبق قرار مجمع الفقه بمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الخامسة بشأن الوفاء بالوعد في المرابحة للآمر بالشراء، ونجعل حكم الوفاء بالوعد في الاستصناع كالوعد في المرابحة.

وما يتصل بالوعد في القرار المذكور هو ما يأتي:

أولاً: الوعد (وهو الذي يصدر عن الآمر أو المأمور على وجه الانفراد) يكون ملزمًا للواعد ديانة إلا لعذر، وهو ملزم قضاء إذا كان معلقًا على سبب ودخل الموعود في كلفة نتيجة الوعد. ويتحدد أثر الإلزام في هذه الحالة إما بتنفيذ الوعد، وإما بالتعويض عن الضرر الواقع فعلاً بسبب عدم الوفاء بالوعد بلا عذر.

ثانيًا: المواعدة (وهي التي تصدر عن الطرفين) تجوز في بيع المرابحة بشرط الخيار للمتواعدين كليهما أو أحدهما، فإذا لم يكن هناك خيار فإنها لا تجوز لأن المواعدة الملزمة في بيع المرابحة تشبه البيع نفسه حيث يشترط عندئذ أن يكون البائع مالكًا للمبيع حتى لا تكون هناك مخالفة لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الإنسان ما ليس عنده». انتهى المطلوب نقله.

ويعدل القرار بوضع كلمتي (المستصنع أو الصانع) بدلاً من (الآمر أو المأمور) في ثانيًا، وفي ثالثًا: يحذف (بيع المرابحة) ونضع الاستصناع في الموضعين.

وبعد: فأظن أن هذا أكثر رفعًا للحرج، ودفعًا للمشقة، وأقرب للصواب. والله عز وجل هو أعلم.

قرار لمجمع المنظمة بشأن عقد الاستصناع:

بعد عرض الأبحاث ومناقشتها في دورة المؤتمر السابع لمجمع المنظمة، لم يؤخذ بالاقتراح الذي ذكرته في بحثي، وترك رأي الجمهور، وإجماع الحنفية، ورجح ما جاء في مجلة الأحكام العدلية، ورأى المجمع هو الذي نرجحه دائمًا.

وأصدر المجمع القرار التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه.

قرار رقم: ٧/٣/٢٤ بشأن عقد الاستصناع

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من ٧ - ١٢ ذو القعدة ١٤١٢هـ الموافق ٩- ١٤ مايو ١٩٩٢م بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى الجمع بخصوص موضوع «عقد الاستصناع».

وبعد استماعه للمناقشات التي دارت حوله، ومراعاة لمقاصد الشريعة في مصالح العباد والقواعد الفقهية في العقود والتصرفات، ونظرًا لأن عقد الاستصناع له دور كبير في تنشيط الصناعة، وفي فتح مجالات واسعة للتمويل والنهوض بالاقتصاد الإسلامي:

قرر:

١- إن عقد الاستصناع- وهو عقد وارد على العمل والعين في الذمة- ملزم للطرفين إذا توافرت فيه الأركان والشروط.

٢- يشترط في عقد الاستصناع ما يلي:

أ- بيان جنس المستصنع ونوعه وقدره وأوصافه المطلوبة.

ب- أن يحدد فيه الأجل.

٣- يجوز في عقدا لاستصناع تأجيل الثمن كله، أو تقسيطه إلى أقساط معلومة لآجال محددة.

٤- يجوز أن يتضمن عقد الاستصناع شرطًا جزائيا بمقتضى ما اتفق عليه العاقدان ما لم تكن هناك ظروف قاهرة، والله أعلم. وإلي لقاء.

هذه دعوتنا

المحدث العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعدُ؛ فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا من صدور العلماء، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهَّالاً، فَسُئِلوا فأفتوا بغير علمَ فضلوا وأضلوا». [البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)].

إذاً أراد الله أن يقبض العلم لا ينتزعه انتزاعًا من صدور العلماء، بحيث إنه يصبح العالم كما لو كان لم يتعلم بالمرة، لا؛ ليست هذه من سنة الله عز وجل في عباده، وبخاصة عباده الصالحين- أن يذهب من صدورهم بالعلم الذي اكتسبوه، إرضاءً لوجه الله عز وجل، فالله عز وجل حكمٌ عدل، لا ينتزع العلم من صدور العلماء حقًا، ولكنه جرت سنة الله عز وجل في خلقه أن يقبض العلم بقبض العلماء إليه، كما فعل بسيد العلماء والأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، ليس معنى هذا أن الله عز وجل يُخلي الأرض من عالم تقوم به حجة الله على عباده، ولكن معنى هذا أنه كلما تأخر الزمن كلما قلَّ العلم، وكلما تأخر ازداد قلةً ونقصانًا حتى لا يَبْقى على وجه الأرض من يقول: الله؛ الله.

هذا الحديث تسمعونه مرارًا- وهو حديث صحيح-: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله؛ الله». [مسلم: ٢٣٤].

«من يقول: الله؛ الله». وكثيرًا من أمثال هؤلاء المشار إليهم في آخر الحديث المذكور، قبَض الله العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً، من هؤلاء الرؤوس، من يفسر القرآن والسنة بتفاسير مخالفة لما كان عليه العلماء، لا أقول: سلفًا فقط بل وخلفًا أيضًا، فإنهم يحتجون بهذا الحديث: «الله؛ الله» على جواز بل على استحباب ذكر الله عز وجل باللفظ المفرد «الله؛ الله».. إلى آخره، لكي لا يغتر مُغْتَر ما، أو يجهل جاهلٌ ما حينما يسمع هذا الحديث بمثل ذلك التأويل، بدا لي- ولو عرضًا- أن أذَكِّرَ إخواننا الحاضرين بأن هذا التفسير باطل:

أولاً: من حيث إنه جاء بيانه في رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وثانيًا: لأن هذا التفسير لو كان صحيحًا لجرى عليه عمل سلفنا الصالح- رضي الله عنهم-، فإذْ لم يفعلوا دل إعراضهم عن الفعل بهذا التفسير على بطلان هذا التفسير، فكيف بكم إذا انضم إلى هذا الرواية الأخرى- وهذا بيت القصيد كما يقال- أن الإمام أحمد رحمه الله روى هذا الحديث في مسنده [برقم: ١٣٨٣٣] بالسند الصحيح بلفظ: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: لا إله إلا الله». إذن؛ هذا هو المقصود بلفظة الجلالة المكررة في الرواية الأولى، الشاهد: أن الأرض اليوم مع الأسف الشديد خَلَتْ من العلماء الذين كانوا يملؤون الأرض الرحبة الواسعة بعلمهم، وينشرونه بين صفوف أمتهم، فأصبحوا اليوم كما قيل:

وقد كانوا إذا عدوا قليلاً
فصاروا اليوم أقل من القليل

فنحن نرجو من الله عز وجل أن يجعلنا من طلاب العلم الذين يَنْحَوْنَ منحى العلماء حقًا، ويسلكون سبيلهم صدقًا، هذا ما نرجوه من الله عز وجل، أن يجعلنا من هؤلاء الطلاب السالكين ذلك المسلك الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقًا يلتمس به علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة». [مسلم: ٢٦٩٩].

وهذا يفتح لي باب الكلام على هذا العلم الذي يُذْكَرُ في القرآن كثيرًا وكثيرًا جدًا، كمثل قوله تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [الزمر:٩]، وقوله عز وجل: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» [المجادلة:١١]، ما هو هذا العلم الذي أثنى الله عز وجل على أهله والمتلبسين به وعلى من سلك سبيلهم؟

الجواب: كما قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نَصْبَكَ للخلاف سفاهة
بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا جَحْد الصفات ونفيها
حذرًا من التمثل والتشبيه

فالعلم إذن نأخذ من هذه الكلمة، ومن هذا الشعر الذي نادرًا ما نسمعه في كلام الشعراء، لأن شعر العلماء هو غير شعر الشعراء، فهذا رجل عالم، ويُحْسِنُ الشعر أيضًا، فهو يقول:

العلم «قال الله» في المرتبة الأولى، «قال رسول الله» في المرتبة الثانية، «قال الصحابة» في المرتبة الثالثة، كلمة ابن القيم هذه تُذَكِّرُنا بحقيقة هامة جدًا، طالما غفل عنها جمهور الدعاة المنتشرين اليوم في الإسلام باسم الدعوة إلى الإسلام، هذه الحقيقة ما هي؟ المعروف لدى هؤلاء الدعاة جميعًا: أن الإسلام إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا حق لا ريب فيه، ولكنه ناقص، هذا النقص هو الذي أشار إليه ابن القيم في شعره السابق، فَذَكَرَ بعد الكتاب والسنة الصحابة.

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة.. إلى آخره، الآن نادرًا ما نسمع أحدًا يذكرُ مع الكتاب والسنة الصحابة، وهم كما نعلم جميعًا رأس السلف الصالح الذين تواتر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «خير الناس قرني». [البخاري: ٢٦٥٢، ومسلم ٢٥٣٣ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه].

ولا تقولوا كما يقول الجماهير من الدعاة: «خير القرون»، خير القرون ليس له أصل في السنة، السنة الصحيحة في الصحيحين وغيرهما من مراجع الحديث والسنة مُطبقة على رواية الحديث بلفظ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

هؤلاء الصحابة الذين هم على رأس القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، ضمهم الإمام ابن قيم الجوزية إلى الكتاب والسنة، فهل كان هذا الضم منه رأيًا واجتهادًا واستنباطا يمكن أن يتعرض للخطأ؟ لأن لكل جواد كَبْوة، إن لم نقل: بل كبوات. الجواب: لا، هذا ليس من الاستنباط ولا هو من الاجتهاد الذي يقبل احتمال أن يكون خطأً، وإنما هو اعتماد على كتاب الله وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الكتاب؛ فقول ربنا عز وجل في القرآن الكريم: «وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ» [النساء:١١٥]، وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين، لم يقتصر ربنا عز وجل في الآية- ولو فعلَ لكان حقًا- لم يقل هذه الآية أرجو أن تكون ثابتة في ألبابكم وفي قلوبكم ولا تذهب عنكم، لأنها الحق مثلما أنكم تنطقون، وبذلك تنجون عن أن تنحرفوا يمينًا ويسارًا، وعن أن تكونوا ولو في جزئية واحدة أو في مسألة واحدة من فرقة من الفرق غير الناجية، إن لم نقل: من الفرق الضالة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث المعروف- وأقتصر منه الآن على الشاهد منه-: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «هي الجماعة». [صحيح ابن ماجه: ٣٢٤١].

الجماعة: هي سبيل المؤمنين، فالحديث إن لم يكن وحيًا مباشرًا من الله على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم وإلا فهو اقتباس من الآية السابقة: «وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ»، إذا كان من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين قد أوعِدَ بالنار، فالعكس بالعكس، من اتبع سبيل المؤمنين فهو مَوْعود بالجنة ولا شك ولا ريب، إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجاب عن سؤال: ما هي الفرقة الناجية؟ ما هي؟ قال: «الجماعة». إذن الجماعة هي طائفة المسلمين، ثم جاءت الرواية الأخرى تؤكد هذا المعنى، بل وتزيده إيضاحًا وبيانًا، حيث قال عليه الصلاة السلام: «هي ما أنا عليه وأصحابي». [صحيح الترمذي (٢٦٤١)]، «أصحابي» إذن هي سبيل المؤمنين، فحينما قال ابن القيم رحمه الله في كلامه السابق ذكره والصحابة وأصحابه عليه السلام، فإنما اقتبس ذلك من الآية السابقة، ومن هذا الحديث.

كذلك الحديث المعروف حديث العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه، أيضًا أقتصر منه الآن على موضع الشاهد منه، حيث قال عليه السلام: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي». [صحيح الترمذي: ٢٦٧٦].

إذن هنا كالحديث الذي قبله وكالآية السابقة، لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: «فعليكم بسنتي فقط»، وإنما أضاف أيضًا إلى سنته: سنة الخلفاء الراشدين، من هنا نقول، وبخاصة في هذا الزمان، زمان تضاربت فيه الآراء والأفكار والمذاهب، وتكاثرت الأحزاب والجماعات، حتى أصبح كثير من الشباب المسلم يعيش حيران، لا يدري إلى أي جماعة ينتسب؟ فهنا يأتي الجواب في الآية وفي الحديثين المذكورين، اتبعوا سبيل المؤمنين، سبيل المؤمنين في العصر الحاضر؟ الجواب: لا، وإنما في العصر الغابر، العصر الأول، عصر الصحابة، السلف الصالح، هؤلاء ينبغي أن يكونوا قدوتنا وأن يكونوا متبوعنا، وليس سواهم على وجه الأرض مطلقًا، إذن دعوتنا- هنا الشاهد وهنا بيت القصيد- تقوم على ثلاثة أركان: على الكتاب والسنة، واتباع السلف الصالح، فمن زعم بأنه يتبع الكتاب والسنة ولا يتبع السلف الصالح، ويقول بلسان حاله- وقد يقول بلسان مقاله وكلامه-: هم رجال ونحن رجال، فإنه يكون في زيغ وفي ضلال، لماذا؟ لأنه ما أخذ بهذه النصوص التي أسمعناكم إياها آنفًا، لقد اتبع سبيل المؤمنين؟ لا، لقد اتبع أصحاب الرسول الكريم؟ لا، ما اتبع؟ اتبع- إن لم أقل هواه- فقد اتبع عقله، وهل عقله معصوم؟ الجواب لا، إذن فقد ضل ضلالاً مبينًا.

وللحديث بقية إن شاء الله.

وقفات شرعية مع أحكام الفاحشة في القرآن الكريم والسنة النبوية

المستشار / أحمد السيد علي إبراهيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الله تعالى حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن غيرةً على محارمه جل وعلا، وصيانة للمجتمعات من التردي في أوحال الرذيلة والنزول إلى مرتبة الحيوان والبهائم التي تتسافد في الطرقات، وينزو بعضها على بعض.

وقد تتبعت الآيات القرآنية، وما صح من الأحاديث النبوية، التي تحدثت عن الفاحشة، وقمت بترتيبها على هيئة وقفات، ثم قمت بشرح ما يحتاج إلى شرح منها، وربْطِه بواقع الناس الآن، والرد على شبهات المبطلين.

الوقفة الأولى: معنى الفاحشة والفرق بين الفحش والتفحش:

قال ابن منظور في لسان العرب: «فحش: الفحش: معروف. ابن سيده: الفحش والفحشاء والفاحشة القبيح من القول والفعل، وجمعها الفواحش. وأفحش عليه في المنطق أي قال الفحش. والفحشاء: اسم الفاحشة، وفي الحديث: إن الله يبغض الفاحش المتفحش، فالفاحش ذو الفحش والخنا من قول وفعل، والمتفحش الذي يتكلف سب الناس ويتعمده، وقد تكرر ذكر الفحش والفاحشة والفاحش في الحديث، وهو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ؛ قال ابن الأثير: وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا ويسمى الزنا فاحشة، وقال الله تعالى: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قيل: الفاحشة المبينة أن تزني فتخرج للحد، وقيل: الفاحشة خروجها من بيتها بغير إذن زوجها، وقال الشافعي: أن تبذو على أحمائها بذاربة لسانها فتؤذيهم وتلوك ذلك. وكل خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال والأفعال ؛ ومنه الحديث: قال لعائشة لا تقولي ذلك فإن الله لا يحب الفحش ولا التفاحش؛ وقد يكون الفحش بمعنى الزيادة والكثرة ؛ ومنه حديث بعضهم وقد سئل عن دم البراغيث فقال: إن لم يكن فاحشا فلا بأس. وكل شيء جاوز قدره وحده فهو فاحش.

وأما قول الله عز وجل: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء

قال المفسرون: معناه يأمركم بأن لا تتصدقوا، وقيل: الفحشاء هاهنا البخل، والعرب تسمي البخيل فاحشا ؛ وقال طرفة: أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

وسنختص بالكلام هنا الفاحشة التي منها الزنا واللواط.

الوقفة الثانية: غيرة الله - سبحانه وتعالى - سبب لتحريم الفواحش:-

حرم الله، الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقال تعالى: « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » [الأعراف ٣٣] قال العلامة السعدي - رحمه الله - في «تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن»: أي: الذنوب الكبار التي تستفحش وتستقبح لشناعتها وقبحها، وذلك كالزنا واللواط ونحوهما. وقوله: «مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» أي: الفواحش التي تتعلق بحركات البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب، كالكبر والعجب والرياء والنفاق، ونحو ذلك. أهـ.

وقد بين النبي صل الله عليه وسلم أن سبب تحريمها هو غيرة الله عز وجل، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال سعدُ بنُ عُبادةَ: «لو رأيتَ رجلاً مع امرأتي لضربتُه بالسيفِ غير مُصفحٍ، فبلغ ذلك رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ مني، ومن أجل غيرةِ الله حرَّمَ الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحدَ أحبُّ إليه المِدحةُ من الله، ومن أجل ذلك وعد

اللهُ الجنةَ» (رواه البخاري)

ولله در ابن القيم - رحمه الله - حينما أصل لهذا السبب تأصيلا شافيا في «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي «حيث قال:«ومن عقوباتها أنها تطفي من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فإن الغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد، وأشرف الناس وأعلاهم قدرًا وهمة أشدهم غيرة علي نفسه وخاصته وعموم الناس، ولهذا كان النبي أغير الخلق على الأمة والله سبحانه أشد غيرة منه. والله سبحانه مع شدة غيرته يحب إن يعتذر إليه عبده ويقبل عذر من اعتذر إليه وانه لا يؤاخذ عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتى يعذر إليهم ولأجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إعذارا وإنذارا وهذا غاية المجد والإحسان ونهاية الكمال فإن كثيرًا ممن تشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة الغيرة على سرعة الإيقاع والعقوبة من غير إعذار منه، ومن غير قبول لعذر ممن إعتذر إليه، بل يكون له في نفس الأمر عذر ولا تدعه شدة الغيرة أن يقبل عذره وكثير ممن يقبل المعاذير يحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير ويرى عذرا ما ليس بعذر حتى يعتذر كثير منهم بالقدر، وكل منهما غير ممدوح على الإطلاق وقد صح عن النبي أنه قال: إن من الغيرة ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله، فالتي يبغضها الله الغيرة من غير ريبة وذكر الحديث، وإنما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر، فيغار في محل الغيرة ويعذر في موضع العذر ومن كان هكذا فهو الممدوح حقا. والمقصود أنه كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك، وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح، بل يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له ويدعوه إليه ويحثه عليه ويسعى له في تحصيله، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله والجنة حرام عليه، وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه له، فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة، وهذا يدلك على أن أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب فتموت له الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة، ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلا، ولم يجد دافعا فتمكن فكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي الجاموس التي تدفع بها عن نفسه وعن ولده، فإذا انكسرت طمع فيها عدوه». اهـ.

وبينها العلامة ابن العثيمين - رحمه الله - في « شرح رياض الصالحين « حيث قال: «قال المؤلف - رحمه الله تعالى - فيما نقله عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى يغار وغيرة الله تعالى إن يأتي المرء ما حرم الله). فإذا حرم الله علي عباده أشياء فإنه- عز وجل - يغار أن يأتي الإنسان محارمه، وكيف يأتي الإنسان محارم ربه والله - سبحانه وتعالى - إنما حرمها من اجل مصلحة العبد، ثم يأتي العبد فيتقدم فيعصي الله - عز وجل - ولا سيما في الزنا - نسأل الله العافية فإنه ثبت عن النبي صلى الله عنه وسلم أنه قال: (ما أحد أغير من الله إن يزني عبده أو يزني أمته) لأن الزنا فاحشة، والزنا طريق سافل سيئ، ومن ثم حرم الله علي عباده الزنا وجميع وسائله، كما قال الله سبحانه:« ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ » (الإسراء:٣٢)، فإذا زنى العبد - والعياذ بالله - فإن الله يغار غيرة أشد وأعظم من غيرته علي ما دونه من المحارم. وكذلك أيضا - ومن باب أولى واشد - اللواط، وهو إتيان الذكر، فان هذا أعظم وأعظم، ولهذا جعله الله تعالى اشد في الفحش من الزنا. فقال لوط لقومه:«﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ » [الأعراف: ٨٠]. قال هنا: (الفاحشة) وفي الزنا قال: (فاحشة) أي: فاحشة من الفواحش، أما اللواط فجعله الفاحشة العظمى نسأل الله العافية. وكذلك أيضا السرقة وشرب الخمر وكل المحارم يغار الله منها، لكن بعض المحارم تكون أشد غيرة من بعض، حسب الجرم، وحسب المضار التي تترتب علي ذلك. وفي هذا الحديث: إثبات الغيرة لله تعالى، وسبيل أهل السنة والجماعة فيه وفي غيره من آيات الصفات وأحاديث الصفات أنهم يثبتونها لله - سبحانه وتعالى - علي الوجه اللائق به، يقولون: إن الله يغار لكن ليس كغيرة المخلوق، وإن الله يفرح ولكن ليس كفرح المخلوق، وإن الله - سبحانه وتعالى - له من الصفات الكاملة ما يليق به، ولا تشبه صفات المخلوقين «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ » [الشورى: ١١]. والله الموفق». اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

فتاوى

فتاوى المركز العام

الزمن الحاضر

س: هل كثرة الفساد والفتن المنتشرة في الأرض الآن يدل على قرب ظهور المهدي المنتظر، ومن هو هذا المهدي وكيف يعرفه الناس؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

الجواب: بالنسبة للمهدي؛ فقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي عدَّها جمع من أهل العلم بأنها متواترة معنويًا كالآجري والسفاريني والشوكاني وغيرهم، والأحاديث تدل في مجموعها على أنه يحكم في هذه الأمة في آخر الزمان، ولم يرد في تلك الأحاديث ما يدل على تحديد زمانه بالضبط؛ إلا أن الأحاديث أفادت أنه من أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون نزوله قبل نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وليس لأحد أن يدعي أنه فلان من الناس حتى ترى فيه العلامات التي وردت بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أهم هذه العلامات؛ أنه يملأ الأرض قسطًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا، وانتشار الفساد في الأرض يدل على قرب مجيئه لأنه يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

ليلة المعراج

س: هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة معراجه إلى السموات من يغتابون الناس وكيف عرفهم؟

ج: سبحان الله وتعالى على قدرته وعجيب صنعه، فقد أسرى بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على دابة يقال لها: «البراق» من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وبعدها عُرج بالنبي إلى السماء الأولى ثم السماوات جميعًا- سبع سماوات، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنه رأى قومًا لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فسأل عنهم جبريل عليه السلام فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. والحديث في سنن أبي داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه وإسناده صحيح على شرط مسلم.

رحمة الله تعالى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم

س: هل هناك حديث يقول فيما معناه: أن أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرحومة يوم القيامة ولا عذاب عليها، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نسمع عن بعض العصاة أن الله سيعذبهم بذنوبهم في النار؟



الجواب: نعم ورد الحديث عند أبي داود وغيره عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا». وهو حديث صحيح. قال شارح

عون المعبود (١١/٢٤٠): قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أمتي هذه» أي: الموجودون الآن وهم قرنه أو أعم، «أمة مرحومة» أي: مخصوصة بمزيد الرحمة وإتمام النعمة، أو بتخفيف الإصر والأثقال التي كانت على الأمم قبلها؛ من قتل النفس توبةً، وغير ذلك. وقوله: «ليس عليها عذاب في الآخرة» أي: من عُذّب منهم لا يُعذب مثل عذاب الكفار. انتهى. وقال أيضا: قال صاحب فتح الودود: أي إن الغالب في حق هؤلاء المغفرة. وقال الملا علي القارئ في المرقاة: وقيل الحديث خاص بجماعة لم تأت كبيرة من الكبائر، ويمكن أن تكون الإشارة إلى جماعة خاصة من الأمة وهم المشاهدون من الصحابة، ولأن الأحاديث وردت بتعذيب مرتكب الكبيرة في الآخرة؛ فيؤول الحديث بأن المراد بالأمة هنا: من اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ينبغي، ويمتثل بما أمر الله وينتهي عما نهاه.

وقال ابن حجر الهيتمي: الحديث محمول على معظم الأمة لثبوت أحاديث الشفاعة في قوم يعذبون ثم يخرجون من النار. [الفتاوى الفقهية الكبرى ٤/٢٣].

حياة النبي صلى الله عليه وسلم

س: ما المقصود بالعذراء في خدرها التي كان يشار بأن النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياءً منها؟

الجواب: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه». متفق عليه.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم ١٥/٧٨: العذراء هي البكر؛ لأن عذرتها باقية وهي جلدة البكارة، والخدر ستر يُجعل للمرأة البكر في جنب البيت. انتهى. لأن العذراء يشتد حياؤها في الخلوة أكثر من خارجها، وتكون أكثر حياءً من غيرها، ومحل حيائه صلى الله عليه وسلم في غير حدود الله، ولذلك كان إذا رأى شيئًا يكرهه غضب حتى يُعرَف ذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام.

قال النووي: لم يتكلم بالشيء الذي يُكْرَه؛ لحيائه، بل يتغير وجهه، فنفهم كراهيته، وفي الحديث فضيلة الحياء، وأنه مما يُحثّ عليه ما لم ينته إلى الضعف والخور. مرقاة المصابيح (٣٧١٤/٩).

العصبية والانفعال

س: تسأل السائلة: ع. أ. م. وتقول: كيف أعالج العصبية عندي لأنني أتعصب بشدة ويؤثر ذلك على علاقاتي ومعاملاتي؟

الجواب: قد بين النبي صلى الله عليه وسلم لما استنصحه أحد أصحابه بألا يغضب، لأن الغضب مفتاح كل شر، وكررها الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات لأهمية ذلك، وبيان أثر الغضب في انتشار الشر وزيادته، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل: «لا تغضب». يظهر من ذلك أن مقاومة الغضب ممكنة، وأن من يتصبر يصبره الله، وينبغي أن يصاحب ذلك الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ثم يغير الإنسان من حاله، فإن كان جالسًا فليقم، وإن كان قائمًا فليقعد، ثم يتوضأ ويغسل أعضاءه بالماء البارد، فإن ذلك يذهب شدة الغضب عنده.

قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض. الترمذي وحسنه.

وقد ضعف هذا الحديث غير واحد من أهل العلم، لكن معناه مما يحتاج المرء إلى أن يفهمه. وبالله التوفيق.



فتاوى

فتاوى الأزهر ولجنة الإفتاء

س: اتخذ كثير من الناس فضل شهر رجب ذريعة للصيام والصلاة وزيارة المقابر وأوردوا في ذلك أحاديث كثيرة، فما هو الرأى الصحيح فى ذلك؟

الجواب: الحافظ أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى وضع رسالة بعنوان: تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب، جمع فيها جمهرة الأحاديث الواردة فى فضائل شهر رجب وصيامه والصلاة فيه.

وقسمها إلى ضعيفة وموضوعة.

وذكر له ثمانية عشر اسما، من أشهرها «الأصم» لعدم سماع قعقعة السلاح فيه لأنه من الأشهر الحرم التى حرم فيها القتال، و«الأصب» لانصباب الرحمة فيه.

وفضل رجب داخل فى عموم فضل الأشهر الحرم التى قال الله فيها« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » [التوبة:٣٦] ، وعينها حديث الصحيحين فى حجة الوداع بأنها ثلاثة سَرْد « أى متتالية «ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب «مضر» الذى بين جمادى الآخرة وشعبان، وليس رجب «ربيعة» وهو رمضان.

قال ابن حجر: إن شهر رجب لم يرد حديث خاص بفضل الصيام فيه، لا صحيح ولا حسن.

ومن أشهر الأحاديث الضعيفة فى صيامه «إن فى الجنة نهرا يقال له رجب، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر «وحديث «من صام من رجبٍ يوما كان كصيام شهر، ومن صام منه سبعة أيام غلقت عنه أبواب الجحيم السبعة ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن صام منه عشرة أيام بدلت سيئاته حسنات «.

ومنها حديث طويل جاء فى فضل صيام أيام منه، وفى أثناء الحديث «رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى» وقيل إنه موضوع وجاء فى الجامع الكبير للسيوطى أنه من رواية أبى الفتح بن أبى الفوارس فى أماليه عن الحسن مرسلا.

ومن الأحاديث غير المقبولة فى فضل صلاة مخصوصة فيه «من صلى المغرب فى أول ليلة من رجب ثم صلى بعدها عشرين ركعة، يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرة ويسلم فيهن عشر تسليمات حفظه الله فى نفسه وأهله وماله وولده، وأجير من عذاب القبر، وجاز على الصراط كالبرق بغير حساب ولا عذاب « وهو حديث موضوع، ومثلها صلاة الرغائب.

وقد عقد ابن حجر فى هذه الرسالة فصلا ذكر فيه أحاديث تتضمن النهى عن صوم رجب كله، ثم قال: هذا النهى منصرف إلى من يصومه معظما لأمر الجاهلية، أما إن صامه لقصد الصوم فى الجملة من غير أن يجعله حتما أو يخص منه أياما معينة يواظب على صومها، أو ليالى معينة يواظب على قيامها، بحيث يظن أنها سنة، فهذا من فعله مع السلامة مما استثنى فلا بأس به. فإن خص ذلك أو جعله حتما فهذا محظور، وهو فى المنع



بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم «لا تخصوا يوم الجمعة بصيام ولا ليلتها بقيام «رواه مسلم. وإن صامه معتقدا أن صيامه أو صيام شيء منه أفضل من صيام غيره ففى هذا نظر، ومال ابن حجر إلى المنع. ونقل عن أبى بكر الطرطوشى فى كتاب «البدع والحوادث « أن صوم رجب يكره على ثلاثة أوجه أحدها: أنه إذا خصه المسلمون بالصوم فى كل عام حسب العوام، إما أنه فرض كشهر رمضان وإما سنة ثابتة كالسنن الثابتة، وإما لأن الصوم فيه مخصوص بفضل ثواب على صيام باقى الشهور، ولو كان من هذا شيء لبينه النبى صلى الله عليه وسلم، قال ابن دحية: الصيام عمل بر، لا لفضل صوم شهر رجب فقد كان عمر ينهى عنه. انتهى ما نقل عن ابن حجر.

هذا، وحِرْصُ الناس -والنساء بوجه خاص، على زيارة القبور فى أول جمعة من شهر رجب ليس له أصل من الدين -ولا ثواب لها أكثر من ثواب الزيارة فى غير هذا اليوم.

[المفتي: الشيخ عطية صقر]

حكم صوم أيام مخصوصة من شهر رجب

س: هناك أيام تصام تطوعا في شهر رجب، فهل تكون في أوله أو وسطه أو آخره؟

ج: لم تثبت أحاديث خاصة بفضيلة الصوم في شهر رجب سوى ما أخرجه النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة من حديث أسامة قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم وإنما وردت أحاديث عامة في الحث على صيام ثلاثة أيام من كل شهر والحث على صوم أيام البيض.

من كل شهر وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والحث على صوم الأشهر الحرم، وصوم يوم الإثنين والخميس، ويدخل رجب في عموم ذلك، فإن كنت حريصا على اختيار أيام من الشهر فاختر أيام البيض الثلاث أو يوم الإثنين والخميس وإلا فالأمر واسع، أما تخصيص أيام من رجب بالصوم فلا نعلم له أصلا في الشرع.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء]

س: ما هو حكم الشرع في بعض الأمور التي تحدث هنا في مصر مثل أن يقوم الخاطب بإرسال بعض الهدايا في المواسم، مثل شهر رجب وشعبان ورمضان وعاشوراء والعيدين، فهل هذا الأمر فرض أم سنة، وهل هناك حرج على من يفعل ذلك؟

الجواب: الهدايا بين الناس من الأمور التي تجلب المحبة والوئام، وتسل من القلوب السخيمة والأحقاد، وهي مرغب فيها شرعا، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقبل الهدية، ويثيب عليها وعلى ذلك جرى عمل المسلمين والحمد لله، لكن إذا قارن الهدية سبب غير شرعي فإنها لا تجوز، كالهدايا فى عاشوراء أو رجب، أو بمناسبة أعياد الميلاد وغيرها من المبتدعات؛ لأن فيها إعانة على الباطل ومشاركة في البدعة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء]

س: ما هو حكم الذبح في وقت محدود وزمن معلوم من كل سنة، حيث إنه يوجد عدد كثير من الناس يعتقدون أن الذبح في ٢٧ رجب و٦ من صفر و١٥ من شوال و١٠ من شهر محرم أن هذا قربة وعبادة إلى الله عز وجل، فهل هذه الأعمال صحيحة، وتدل عليها السنة، أم أنها بدعة مخالفة للدين الإسلامي الصحيح ولا يثاب عليها فاعلها؟

الجواب: العبادات وسائر القربات توقيفية لا تعلم إلا بتوقيف من الشرع، وتخصيص الأيام المذكورة من تلك الشهور بالذبائح فيها لم يثبت فيه نص من كتاب ولا سنة صحيحة، ولا عرف ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم، وعلى هذا فهو بدعة محدثة، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخاري ومسلم.



وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

[اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء]

سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٨ سنة من المجلة.

- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.

.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

الآن

مفاجأة سارة

موسوعة التوحيد



- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية.
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد.
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكّى من الفرع .
- يتم ملأ نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق من قبل الفرع موجود علي موقع أنصار السنة وصفحة فيسبوك رئيس التحرير ومجلة التوحيد



هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات
عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي
يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين

٨شارع قولة . عابدين
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦